

روايات مصرية للجيب

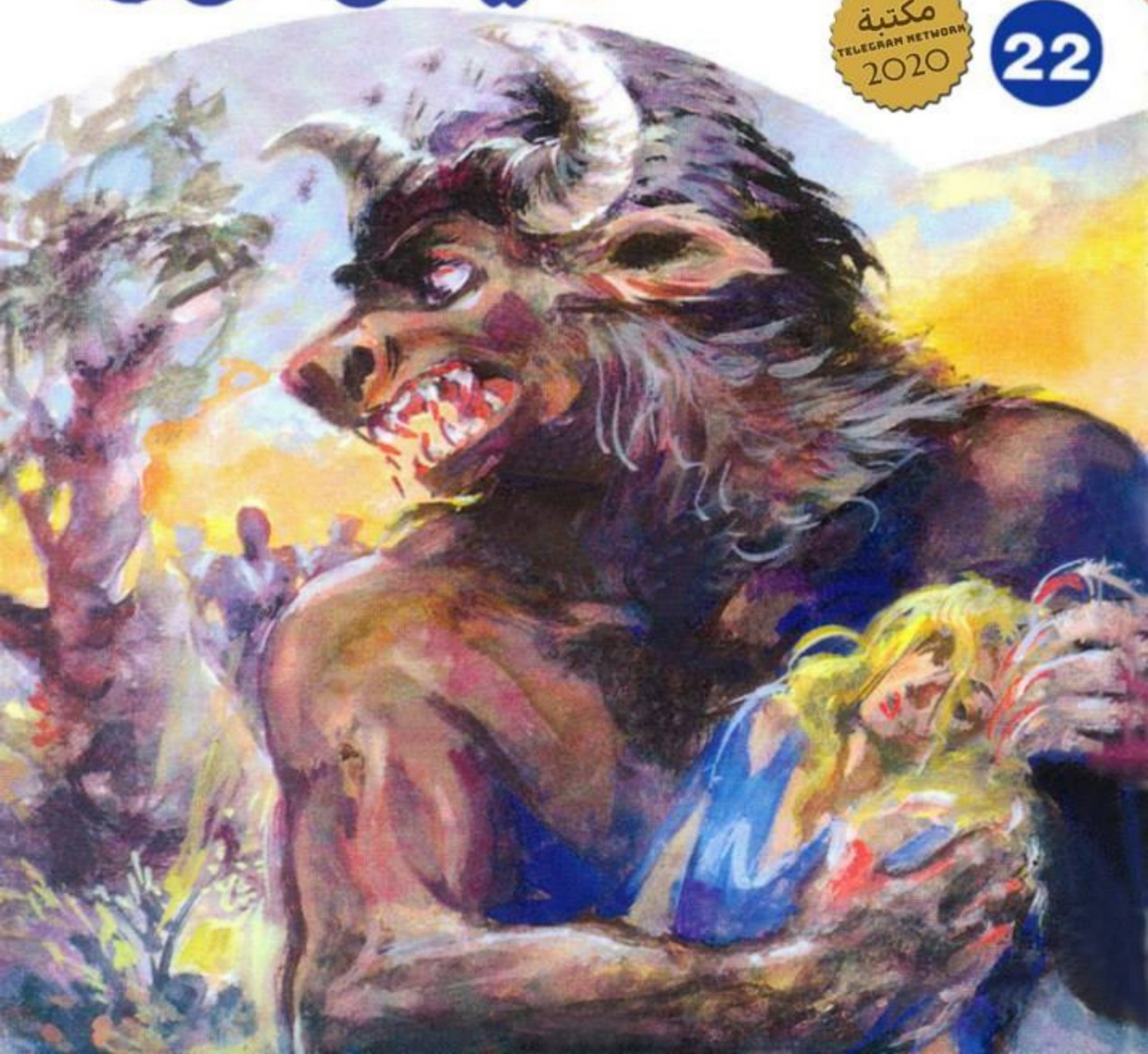
أسطورة

# المينوتور

ماوراء الطبيعة



22



مكتبة

# Telegram Network 2020

«المكتبة النصية»

قام بتحويل سلسلة:

(ما وراء الطبيعة)

د. «د. أحمد خالد توفيق»

إلى صيغة نصية:

(فريق الكتب النادرة)

يزن – المملكة المتحدة









## مقدمة

أنا د. (رفعت إسماعيل) أستاذ أمراض  
الدم المتقاعد.. ومريض القلب الدائم..  
والعزب الأبدى..

أنا الذي واجه (العساس).. وواجه لعنة  
(شاكال) النارية.. وضاع في عوالم (آلان  
بو).. وغاص في قلب الحقيقة إلى الحد  
الذي تسمح به آدميته..

أنا الشيخ الفاني الذي تشبه حياته ورقة  
في شجرة صفصاف إبان الخريف..

الكل ينتظرها كي تسقط..

الكل يعرف يقيناً أنها ستسقط..

ناموس الحياة يقول إنها ستسقط..

لكنها لم تسقط بعد..!  
تسألونني عن سبب بقائي فوق الشجرة  
حتى هذه اللحظة.. أية فيتامينات أبتلعها؟..  
أية أطعمة أمتنع عنها!.. أية رياضات  
أمارسها؟

أقول لكم إنني أفعل كل ما من شأنه أن  
يقضي على حياة سلحفاة عمرها عامان..  
والتفسير الوحيد عندي هو أن أجلي لم يحن  
بعد..

أجلي لم يحن بعد..  
لهذا أدعوكم الليلة - من يدري؟. لربما  
كانت الأخيرة - إلى أن تصغوا لقصة  
أخرى..

يبدو أن الوقت قد حان كي أحكي لكم  
قصة (المينوتور)..  
..

اليوم نعود من جديد إلى عوالم  
(الميثولوجيا) الإغريقية. وكالعادة - كما  
حدث مع رأس (ميدوسا) - لن يكون اللقاء  
مبهجًا على الإطلاق..

سموه الرعب.. سموها الكآبة..  
المهم أنكم هنا.. وأنكم تتطلعون في شغف  
إلى لقاء (المينوتور).. لهذا دعونا لا نضع  
وقتًا في ثرثرة الشيوخ هذه ولنبدأ..





# ١ - الأسطورة..

---

مينوتور: (مينوس + توروس) في الإغريقية. وحش يبدو نصفه كإنسان ونصفه الآخر كثور. يعيش في المتاهة التي بناها (ديدالوس) لـ (مينوس). كانوا يقدمون له قرباناً سنوياً من سبعة فتيان وسبع عذارى، إلى أن قتله (ثيذوس).  
[قاموس (وبستر) الشامل]



مرّة أخرى نعود إلى عالم الأساطير الإغريقية المعقد المتشابك، الرائع برغم ذلك.. والذي كوّن جزءًا هامًا من تكوين عقولنا، لا ندرك أهميته إلا حين نتحدث عن بطولات (هرقل).. أو نستعمل (أطلس) البلدان.. أو نصف فتاة حسناء في قصائدنا بأنها (فينوس).. وحتى أول مركبة فضاء لمست القمر كان اسمها (أبوللو)..

في هذه المرّة سنقصد جزيرة (كريت) لنلقي الفنان البارِع والمهندس الإغريقي الموهوب (ديدالوس)..

تذكر الأساطير الإغريقية لـ (ديدالوس) أنّه هو أول من حاول الطيران في التاريخ، مستعملًا جناحين من شمع.. وللأسف جرب هذا مع ابنه (إيكاروس).. ولقد انتاب

الحماس هذا الأخير حتى أنه دنا من الشمس أكثر من اللازم.. وذاب جناحاه ليهوى غارقاً في المحيط..

كما يذكر لـ (ديدالوس) أنه هو من بني (اللابيرنث) أو (المتاهة) في (كريت).. وهو الحل السعيد الذي وجدته الرجل للتخلص من كارثة بيولوجية حطت على هذه الجزيرة..

لقد كان لدى (مينوس) ملك (كريت) وحش من هذه الوحوش الشنيعة التي تزخر بها الأساطير الإغريقية.. ولم يكن بالتأكيد أسوأ من (ميدوسا) - التي تحدثنا عنها في الكتيب السادس - لكنه كان سيئاً بما يكفي.. كان هذا الوحش مزيجاً من الإنسان والثور.. وثمة روايات تقول: إن الثور كان

هو النصف العلوي، وأخرى تقول: إن الثور كان هو النصف السفلي.. لا يهم... المهم أنه كان مزعجًا ومرعبًا.. وكان يقتل كل من يدنو منه.. وبالتأكيد لم يكن صالحًا لتربيته كقط سيامي أو كلب (لولو).. لكنّ (مينوس) الأحقق ظن أنه من المفيد أن يحتفظ المرء بـ (مينوتور) في داره.. ودفع ثمن هذه الحماقة غاليًا.. فلما استطار شر الوحش؛ استنجد الملك بالمهندس الإغريقي العبقرى (ديدالوس).. ولابد أن المهندس فكر كثيرًا في حل المعضلة.. ولابد أنه أجرى حسابات مستفيضة على آله الحاسبة الإغريقية - كل شيء جائز في الأساطير - ثم دسّ القلم وراء أذنه.. وقال:

- سنبنني (اللابيرنث)!  
هنا لابد أن الملك تساءل في غياب:  
- (اللابيرنث)؟

- نعم.. (اللابيرنث) في الإغريقية معناه:  
التيه.. سنحيط هذا الوحش بممرات معقدة..  
ومنحنيات، وشعاب متداخلة.. ولسوف  
يركض هذا الوحش بين الممرات إلى يوم  
يبعثون.. عاجزاً عن الخروج..  
وقد كان..

وصار هذا (اللابيرنث) المعقد جزءاً من  
معالم (كريت).. بل وصار جزءاً هاماً من  
ألعاب (الكمبيوتر) التي تدور كلها حول  
محاولة الخروج من متاهة.. في حين  
تطارذك بالداخل أشياء مبهمة لا تدري  
كنها.. لكنها تلتهم ما تراه..





لكنّ القصة لم تنته بعد..  
إن الجزء السيئ منها لم يبدأ حتى هذه  
اللحظة..

كان الإغريق يحقدون ويحسدون، مثلما  
نفعل نحن طيلة يومنا.. ولقد بدأت المأساة  
بفوز ابن (مينوس) ملك (كريت) بالألعاب  
الأولمبية في (أثينا)..

وإذا نوى الفتى أن يعود إلى بلاده محملاً  
بالجوائز؛ استشاط ابن ملك (أثينا) غضباً..  
وأكل الحقد قلبه..

لذا أرسل قطاع الطرق ليهاجموا ابن ملك  
(كريت).. ويمزقوه إرباً.. ويلقوا بجسده  
للسباع..

الحق أنها كانت خيانة دنيئة حقاً..



المهم أنه كان مزعجًا ومرعبًا .. وكان يقتل كل  
من يدنو منه ..

أما الأدهى فهو أنها وصلت بالكامل إلى  
أذن (مينوس)، فجن جنونه.. وجرّد جيشاً  
مهولاً زحف به على (أثينا)..

وما جاء الصباح إلا والبطاح تموج بقتلى  
الإغريق.. وبدأ حصار (مينوس) الطويل  
لمدينة (أثينا) ليرغم أهلها على الاستسلام.  
وكان الحصار مرهقاً. شح فيه الماء  
والزاد..

وأرسل (إيجوس) إلى (مينوس) يعرض  
عليه الصلح..

لكن الأب المكلوم في ابنه رفض الصلح..  
وقال إن كل (أثينا) لا تكفيه عوضاً عن  
ابنه...

لكنه - لما كان رجلاً سهل الإرضاء -  
يكفيه أن يعود بسبعة من أجمل وأقوى

الفتيان.. وسبع من أجمل العذارى..  
ولسوف يأخذهم معه إلى (كريت) ليرمى  
بهم إلى (المينوتور)...  
ولم يجد ملك (أثينا) البائس سوى أن  
يوافق على هذا العرض. الذي سيتكرر كل  
عام.. وإلا فهي الحرب..  
وعاد الكريتيون إلى جزيرتهم حاملين إلى  
وحشهم صيدًا ثمينًا.. يكفيه لمدة عام...



ومرت السنون.. وأهل (أثينا) يدفعون  
الفدية عن يدٍ وهم صاغرون.. حتى ظهر  
(ثيذوس)..

و (ثيذوس) - بالمناسبة - هو ابن الملك  
(إيجوس) من عذراء ريفية حسناء قابلها  
في إحدى رحلات الصيد..

والأخ (ثيذوس إيجوس) - كما لنا أن  
نتوقع - هو بطل إغريقي متحمس من  
أولئك الذين يفتشون عن المتاعب  
بالمجهر...

وهذه الشخصية ذات البعد الواحد تتكرر  
بإفراط في الأساطير الإغريقية.. البطل  
مفتول العضلات عاري الصدر.. بسيفه  
البتار وغضبه الجبار.. وبحثه الدائم من  
أجل أن يرث عرش مملكة ما.. ودائما هو  
يتحرك طبقا لنبوءة.. كلهم كذلك.. من  
(أوديب) إلى (أخيل).. ومن (هرقل) إلى  
(برسيوس)..

وهكذا.. تقول الأسطورة إن (ثيديوس)  
ألح على أبيه في أن يرسله إلى (كريت)  
هذا العام ليكون ضمن البؤساء الذين سوف  
يلتهمهم (المينوتور)..

«يجب أن يعلم أهل (أثينا) أننا نجرع  
ذات الكأس التي منها يجرعون..».

بهذا الحس الديموقراطي ركب (ثيديوس)  
السفينة مع رفاقه، ماخرين بحرًا [تلاطمت  
أمواجه، وزخرت أثباجه، وطم آذيه] على  
حد قول الأستاذ (دريني خشبة) أول من  
ترجم هذه الأسطورة إلى العربيّة..

ولقد وصلت السفينة إلى (كنسوس)  
عاصمة (كريت)، ونزل منها أولئك  
الضحايا القادمون..



لكن ابنة (مينوس) أعجبت كثيرًا بـ  
(ثيذيوس) الوسيم القوي.. ناسية - أو  
متناسية - أنه أخو قاتل أخيها..

وكان أن قررت إنقاذه.. فقدمت له خيطًا  
قالت له أن يربطه عند بداية (اللابيرنث)..  
ثم يدخل التيه ليلاً بينما (المينوتور) نائم..  
فبيحث عنه ويقتله بسيفه البتار..

بعد هذا يستطيع العودة أدراجه مسترشداً  
بطرف الخيط الذي يحمله.. هكذا لن يضل  
طريقه ويموت، مثلما يحدث لمن لم  
يسعدهم الحظ أن يقتلهم (المينوتور)... وقد  
كان..

نجح (ثيذيوس) في قتل الوحش.. وعاد  
ليتزوج الفتاة.. وليكون صلح بين (أثينا)  
و(كريت).. وتعم السعادة البلاد..

وهنا تنسى الأساطير الإغريقية كل شيء  
عن (ثيذوس)...

وننسى نحن كل شيء عن (المينوتور) إلا  
في خيال الشعراء وعند علماء النفس..  
حيث (المينوتور) رمز لامتزاج البهيمية  
والنبل في نفس الإنسان.. وليس الإنسان  
بشرًا كله ولا ثورًا كله بل (بين بين)..  
الآن.. نحن نعرف كل شيء عن

الأسطورة..

يمكننا أن نترك شاعر اليونان الضريز  
(هوميروس) يعزف على قيثاره.. ونترك  
التيه.. ونترك (أخيل)..  
ونعود إلى عالم الواقع..  
إلى (كريت) عام ١٩٦٩..



## ٢ - ما كان.. وما سيكون..

---

أرقد هذه الأيام مسترخيًا - للمرة الأولى منذ عشر سنوات - أتأمل الخيوط المعقدة التي نسجها عنكبوت الأيام، صانعًا منها نسيج ذكرياتي..

من العجيب أن خطابات عديدة وصلتني في الآونة الأخيرة، كلها من أشخاص سمعوا عني.. ويحسب كل منهم أنه يرى شبحًا.. أو أن جاره مصاص دماء.. أو أن عمّه مذعوب..

هناك فتيات يقسمن أن غسالة الثياب تعمل وحدها في منتصف الليل... وعجوز يؤكد

أن الثلاجة تمشي في الصلاة عند الفجر..  
وشاب واثق أن خالته لها جناحا وطواط..  
برغم كل هذا الهراء شعرت برضا  
بالغ...

فأنا - كما تلاحظون - قد بدأت أأخذ  
بالتدريج شكل (وكالة أشباح) يلجأ إليها  
الناس حين يشعرون بأن شيئاً ما على غير  
ما يُرام...

لقد نشرت عدة مقالات عني.. والتقت بي  
مذبة شقراء تلوك اللبان على شاشة  
التلفزيون..

وتدريجياً بدأ الناس يسمعون عن (رفعت  
إسماعيل).. بعدما كان نسياً منسياً لا يعرفه  
سوى أصدقائه.. ومن قرءوا تلك المقالة  
عن (الزومبي) في المجلة الإنجليزية إياها.

قد يقول بعضكم إنني لا أملك الخبرة  
الكافية بعد..

لكني أقول إن هذا صحيح في فترة ما..  
وفي ذلك الوقت كنت أردد دومًا عبارة  
(لست صانع أساطير.. ربما أنا هادم لها)..  
وكانت خبرتي محدودة دائمًا..

أما اليوم - حين أتأمل حياتي - أجد أنني  
قد عشت خبرات قلما تتاح إلا للأشباح..  
ولم يعشها بشري قبلي في حد علمي..  
وهذا يتيح لي حرية الثرثرة كما أشاء..  
أنا لست من الطراز الذي يتكلم في أمور  
لا يفقه فيها شيئًا..





والآن.. دعنا نتأمل خبراتي حتى عام  
١٩٦٩..

١- عالم مصاصي الدماء بتوابيتهم  
وأوتادهم وثومهم:

كانت لي معهم مغامرتان زائفتان في  
الواقع.. مرة مع أسطورة مصاص الدماء..  
ومرة مع إحدى قصص (التاروت)..  
وتعلمت من ذلك أنه لا وجود لشيء كهذا..

٢- عالم مسوخ الذئاب والقمر المكتمل  
وخناجر الفضة:

لم يثبت لي وجودهم قط بعد قصتي مع  
أسطورة المذءوب.. لكنني عرفت عنهم  
الكثير.. وعرفت أصل هذه الأسطورة.

٣- عالم الوحوش التي لم يرها أحد:

واجهت وحش (لوخ نس)، وعرفت من  
واجهه رجل الثلوج.. وهذا كافٍ لأكون ذا  
خبرة بالأمر..

٤- عالم الموتى الأحياء والقبور المفتوحة  
والأطراف المتآكلة:

كان لي لقاء مع (زومبي) مزيفين..  
وأعتقد أنني أعرف قدرًا لابأس به من  
الموضوع...

٥- عالم الأساطير اليونانية والحفائر:  
مع رأس (ميدوسا) العائد: واجهت كابوسًا  
حقيقيًا.. وبرغم أن المسألة تكشفت عن  
خدعة.. فإنني على استعداد تام لمواجهة  
الأسطورة القادمة..

٦- عالم لعنة الفراعنة والمومياءات  
والتحذيرات عنى التوابيت:

خبرتي مع مومياء الفرعون (أخيروم)  
وحارسه الذي يفتك بالعلماء..

٧- عالم النباتات المفترسة وخلافه.

٨- التجسّدات الميتافيزيقية التي نجهل  
الكثير عنها:

لقائي مع شعب الأطياف. وحسناء  
المقبرة. وأرض أخرى..

٩- غزاة الفضاء والأطباق الطائرة  
والشهب:

لي مغامرة لم تكتمل معهم، نموذج  
للكابوس المجسد.. هي أسطورة الغرباء.

١٠- القدرات البشريّة غير العادية:

أسطورة الكاهن الأخير.. عن محارب  
(النافاراي) الذي جاء من عالمه ليزيد  
الحياة تعقيدًا..

وهكذا أستطيع القول إنه ما من مجال من مجالات دنيا ما وراء الطبيعة؛ إلا وخبرته إلى حدٍ ما..

١١ - النبوءات الشريرة وأوراق (التاروت):

يمكن القول إنني اصطدمت بها في (جامايكا) وفي (نيويورك).. مرة مع الأم (مارشا) ومرة مع د. (لوسيفر).  
١٢ - السحر الاسود:

إن خبرتي به متكررة.. مرة مع سحرة (الفودو) ودمى (الفتيش).. ومرة مع (لعنة الفراعة).. ومرة مع (شاكال).. ومرة مع (نوسفيراتو).. آه.. يبدو أنني لم أحك هذه القصة بعد..

١٣ - البيوت المسكونة والبوابات الصدئة  
والعناكب:

إن أسطورة البيت هي نموذج جيد لبيت  
ليس مسكوناً فحسب.. بل هو نفسه يملك  
طاقة روحية عالية..

والآن يمكنني - بكل تواضع - أن أزع  
أنني قادر على الإدلاء برأيي في أي  
موضوع يعرض عليّ من مواضيع ما  
وراء الطبيعة..

ربما جاء رأيي خاطئاً.. لكنه - بالتأكيد -  
يستحق الاهتمام...



معظم ما يصلني من مراسلات يصلني على عنوان العمل، لأن أحدًا لا يعرف عنوان منزلي.. لكنّ الصحف حين تتحدّث عني تقول: د. (رفعت إسماعيل).. أستاذ بكلية طب كذا..

ولقد وصلني فيض من خطابات حتى أن د. (رأفت) صديقي العتيد قال لي متهمًا: - إن من ير كم خطاباتك يحسبك انشأت مكتب بريد خاصًا. مقره هذه الكلية.. - مت بغیظك!

صحيح أنّ بعض الخطابات غير مفهوم. وصحيح أن بعضها لا يصدّق.. إلا أنّ كثيرًا منها يحوي أشياء مثيرة للاهتمام حقًا..



من ضمن هذه الخطابات كان هناك هذا  
الخطاب الطويل. الذي سلمه لي باليد شاب  
يُدعى (سالم محمد شحاتة)، والذي نشرته  
كاملاً في الكتيب الثامن تحت عنوان  
(أرض أخرى)..

ولقد سلمني خطابين آخرين بعد ذلك..  
واحدًا سأنشره تحت عنوان (أرض  
المغول)، وواحدًا تحت عنوان (أرض  
العظايا)<sup>1</sup>.. ولا داعي لأن أقول إنني ميال  
لعدم تصديق هذه القصص التي يمطرني  
بوابلها الأخ (سالم)..

لكنها - جميعًا - شائقة.. وكلها تطلق عنان  
الخيال.. لهذا لا أرى ما يمنع من نشرها  
يومًا ما..

هناك خطابات عدة بلغات أجنبية. لا أعرف أكثرها.. منها خطاب يقول لي بمودة ولطف:

- أردشار نور هاه تامل سيزده بدر ناكواه شيلوش!.

وأنا أحيي هذا الأسلوب الرصين المتماسك، ودقة الإعراب.. وإن كنت أتمنى ألا أموت قبل أن أعرف اسم هذه اللغة.. التي تأكدت من أنها ليست الفارسية ولا الإيرانية ولا الأوردية ولا الأفغانية.. ولا....

هناك خطاب آخر كتب بحروف سلافية.. تلك الحروف التي تجعلك تقلب الورقة عدة مرات بحثًا عن الوضع الأمثل للإمساك بها.. لأنك تجد حرف (أ) اللاتيني مقلوبًا..

فإذا قلبت الورقة وجدت حرف (ن)  
اللاتيني مقلوبًا!.. وهكذا..

لن أدهش لو كان هذا الخطاب من الكونت  
(دراكيولا) نفسه.. يهنئني بعيد ميلادي...  
ثمة خطاب ثالث هو أقرب إلى الطرد..  
ألصقت عليه عشرات الطوابع تحمل اسم  
(هيلاس) - اليونان - وبداخله ثلاثون ورقة  
من القطع الكبير.. كتب عليها بالإنجليزية  
ما هو أقرب إلى قصة طويلة معقدة..  
وبخط صغير جدًا..

التوقيع يحمل اسم البروفسور (ديمتريوس  
كوبرانوس)..

ومرفق بالخطاب بعض صور غير  
واضحة لشيء ما.. مع أسهم باللون  
الأحمر توضح تفاصيل هذا الشيء..



وفي داري - مع كوب من الشاي الثقيل -  
رحت أطلع هذا الخطاب المبالغ في  
طوله..

ومرة أخرى شعرت بأنني أدخل عالم  
المرأة المسحور، لأعيش في كون آخر..  
وعالم يختلف في كل شيء عن عالمي  
هذا..

وحين انتهى الخطاب.. كانت عضلات  
عيني - العضلة الهدبية بالذات - قد  
أنهكت.. وشعرت بأن عيني تحولت إلى  
ساق رياضي بعد سباق اختراق الضاحية  
عدواً..

لقد ظن هذا الـ (كوبرانوس) أنه يكتب فوق طابع بريد.. ومن يدري؟ لربما استعمل المجهر في كتابة خطابه هذا.. على كل حال.. أمّا وقد انتهى الخطاب فأنا أجده مسلياً إلى حد لا بأس به، وبه مسحة ما من الرعب..

لهذا سأترجمه لكم في الصفحات التالية.. وكالعادة.. سأعود قبل أن ينتهي الكتيب لأعلق على هذا كله.. فذكروني أن أفعل ذلك أرجوكم حتى يحتفظ الكتيب بطابعي.. وفي الكتيبات القادمة سأحاول أن أنتقى لكم القصص الأكثر إمتاعاً.. لأقدمها لكم على هذه الصفحات..

بالتالي ستستريحون من ثرثرتي لفترة لا بأس بها..، وإن كنتم ستجدون أسلوبى

وسخريتي المقيتة بين السطور وفوقها..  
لأنني سأعيد سرد كل شيء بنفسي..  
تري ماذا يحمل لنا هذا البروفسور  
(كوبرانوس) من ساعات سيئة؟  
اقلبوا الصفحة إذا كان رقمها فرديًا.. أو  
انظروا إلى اليسار إذا كان رقمها زوجيًا..  
لتروا بأنفسكم!



## ٣ - عودة إلى اليونان...

---

عزيزي د. (إسماعيل):  
طالعت بفائق الاهتمام ما ورد في مجلة (...)  
عن مغامرتك مع هؤلاء (الزومبي)  
في (الكاريبي)، كما طالعت بشغف حكايتك  
مع رأس (ميدوسا).. تلك القصة التي  
تحدثت عنها الجرائد اليونانية كثيرًا..  
وللأسف كان الأمر كله أجمل من أن يكون  
حقيقًا..

أنا - بوصفي عالم آثار مخضرمًا -  
أعرف (ميخائيل كاراداكس) جيدًا،  
وأعرف أنه أقرب إلى نصاب وسيم منه

إلى العلماء.. وكان بإمكانني أن أريحك من  
تلك المأساة التي عشتها في جزيرة  
(كارادوس) لو أنني علمت طرفاً من  
الموضوع...

على كل حال يقضي (كاراداكيس)  
وزوجته الإنجليزية أعوام السجن المؤبد  
الآن.. ومن المؤكد أن العلم لم يخسر كثيراً  
جداً بفقدتهما..

وحين طالعت هذه القصة: ظلت في عقلي  
الباطن فترة لا بأس بها.. وكان طبعي أن  
يطفو وجهك إلى سطح أفكاري حينما  
اصطدمت أنا بقصة جديدة من عالم  
(الميثولوجيا) اليونانية. وهي لعمرى قصة  
غير مبهجة على الإطلاق..



و حين أكتب لك هذا الخطاب لا أطمع في  
معونة منك.. ولا أطمع في رأي وإن كان  
صائبًا.. بل أنا راغب في أن تعيش معي  
هذه التجربة الغريبة. وأن تثري فهمك  
لعالم ما وراء الطبيعة كما أثريت أنا  
فهمي.. إن الإنسان هو حشد من خبرات  
من سبقوه.. وأنت حين تقول عبارة مثل:  
دخلت داري فأضأت المصباح الكهربائي.  
وخطوت إلى الثلاجة فتناولت قدحًا من  
الماء، وفتحت التلفزيون. حين تقول هذا..  
فلا تنس أن أجيالًا ماتت وهي تقاتل من  
اجل ابتكار المصباح الكهربائي.. واجيالًا  
قاتلت من أجل اختراع الثلاجة.. وعقول لا  
حصر لها كادت تنفجر وهي تحاول ابتكار  
التلفزيون...

إن الإنسان هو تجارب من سبقوه.. ولو  
لم تصلنا خبرات كل هؤلاء لناخذها أو  
نضيف إليها: فأين كنا سنكون اليوم؟!  
مقدمة طويلة هي.. متحذقة ربما.. لكني لا  
أجد طريقة أخرى أبرر بها كتابة خطابي  
الطويل هذا لك..

وغداً ستعرف عن (المينوتور) قدر ما  
أعرفه أنا.. برغم تباعد بلدينا واختلاف  
لسانينا..

أليس هذا فائنًا؟.. أليس هذا ساحرًا؟



اسمي (ديمتريوس كوبرانوس).. أستاذ  
في علم الآثار.. وبالطبع أنا مهتم بالآثار

(الهللينة).. أبلغ من العمر خمسين عامًا..  
متزوج ولي طفلة جميلة تدعى (مليسا)..  
وهذا يعود لأنني تزوجت في سن  
الأربعين.. السن التي يتزوج فيها كل من  
يخشون الزواج ويخشون الوحدة كذلك..  
صفاتي الجسدية قد لا تعني كثيرًا.. لكني  
- ليسهل التخيل - قصير القامة للغاية..  
متضخم الرأس.. أميل إلى الهزال.. أدخن  
الغليون طيلة الوقت ليكتمل مظهر العالم  
الذي أصبو إلى أن أكونه.. من يعرفونني  
يقولون إنني هادئ الطباع.. أقرب إلى  
الخل والبعء عن الآخرين، وأنتك تحتاج  
إلى وقت لأبأس به كي تكسر أسوار  
تحفظي..

من يدري؟.. ربما كان هذا التحفظ درعًا  
أقي به نفسي سخرية الآخرين من غرابة  
منظري.. وأعترف هنا أنك لا تستطيع  
الكلام معي دون أن تحني رأسك.. ولا  
تستطيع أن تمنع ابتسامة سخرية على  
شفتيك.. قد تتدارك الأمر فتجعلها ابتسامة  
تلطف..

لا أدري ما جدوى هذه التفاصيل بالنسبة  
لك.. لكنّها على الأقل ترسم الجو المحيط  
بي كاملاً، وتجعلك تراني بدلاً من أن  
تسمعي فحسب.



نحن الآن في (كريت)..

لأبد أنك تعرفها إلى حدٍ ما، من مغامرتك السابقة التي كانت قريبة منها.. جزيرة البحر المتوسط الهادئة التي تقع جنوب بحر (إيجيه)..، حيث نشأت أول حضارة غربية على الإطلاق وهي حضارة (المينو)..

عاصمة (كريت) الغابرة التي كانت مزدهرة منذ خمسة عشر قرنًا هي (كنسوس).. وهي المكان الذي ستدور فيه قصتنا..

ماذا بوسعي أن أقول أكثر عن (كريت)؟..

إنها أكبر جزر اليونان.. تمتد الجبال بها من الشرق إلى الغرب.. لها سهول ساحلية

ضيقة.. ويعيش بها رعاة خشنون.. ولا  
تنتج الجزيرة سوى النبيذ وزيت الزيتون..  
إلى هذه الجزيرة البائسة وصلت وأسرتي  
الصغيرة، وفريق مكون من رجلين  
(باسيلوس) و(ستافروس) وكلاهما يعمل  
بالآثار اليونانية مثلي..

واستقررنا في خان صغير بالبلدة، وجندنا  
بعض سكان الجزيرة ليكونوا عمال حفر  
لنا.. ولم يكن هذا عسيرًا، لأنهم اعتادوا  
مجيء هؤلاء المخابيل من (أثينا) الذين  
يحفرون الأرض.. ولا يتركون حجرًا فوق  
حجر كأنهم خلدان مسعورة..

والمحصلة دائمًا هي رأس مهشّم لـ  
(أبوللو) أو ذراع مفككة لـ (فينوس).. أو  
رمح صدئ..

ثم يعود المخابيل إلى (أثينا) وتنتهي  
الضوضاء إلى حين..، وبعد شهر يوضع  
الرأس في المتحف اليوناني، وجواره  
بطاقة تقول إنه (رقم ٣٢١٦٧٢ - أ) و(من  
حجر البازلت).. ثم ينسى الأمر برمته ولا  
يهتم به أحد..

هذا هو عملنا.. ونحن لا نتذمر..  
لكننا اليوم نشعر بأننا مقبلون على كشف  
هام نوعاً..



تسألني عن كنه هذا الكشف.. وعن  
العلامات التي أذرتنا به.. أقول لك إن  
جميع الدلائل توحى بهذا:

١- المنطقة التي نعمل بها في (كنسوس) لها تاريخ حافل حقًا.

٢- يتحدث الأهالي عن (شيء ما) يحدث هنا.

٣- وجدنا على حدود المنطقة أكثر من لوحة حجرية كتب عليها حفراً: ابتعد عن هنا أيها الغريب.. وكان جميعها مدفوناً تحت أطنان من الغبار.

٤- وجدنا جزءاً من جدار كتب عليه اسم (مينوس)، وهو ملك أسطوري لـ (كريت) لا نعرف عنه شيئاً إلا من الأساطير الإغريقية.

٥- هذه المنطقة بكر تماماً، ولم يعبث بها معول الباحثين على النقيض من باقي



أجزاء (كريت). التي تحولت إلى مزار  
للأرانب البرية من كثرة الحفر.

والآن تم اتخاذ القرار بأن نبدأ الحفر في منتصف القطاع تمامًا.. عند مركز الدائرة التي تنتثر اللافتات على حدودها.. وبدأنا العمل في يوم قائف..

يوم من تلك الأيام التي تشعر فيها بأن الحر يحرق روحك، ويبخر الهواء من رئتيك قبل أن تتنفسه..

الرجال الأشداء نزعوا قمصانهم وراحوا يهوون بالمعاول فوق الصخور الجيرية التي تشكل أكثر مساحة (كريت).. ومن حين لآخر يُصاب أحدهم بضربة شمس فيقيء وينهار.. أو يوشك على الموت..، ويهرع آخر ليجرع الماء ويبتلع بعض الملح.. ويخرج آخر زجاجة (نبيذ) يرشف



وجدنا جزءاً من جدار كتب عليه اسم (مينوس) ..

منها رشفة على أمل أنني لا أراه...  
أحيانا يتبادلون السباب باليونانية الفجة..  
أو يتبادلون نكاتًا بذيئة لا ألومهم عليها  
كثيرًا، وأدير بصري في مساعدي  
(باسيلوس) و(ستافروس).. وهما نقيضان  
في كل شيء..

(باسيلوس) نموذج للشاب المتحمس  
المندفع.. الفخور بوسامته.. والذي لا يرحم  
مرءوسيه، ويرى دومًا أنهم لا يقدمون  
أقصى ما عندهم.. وأنهم شرذمة من  
الكسالى..

إنه ذلك الطراز من البشر الذي لا يخشى  
- بل ويسره - أن يكون مكروهًا، وأن يرى  
نظرات المقت في عيون من حوله، لسان

حاله يقول - مثل (راسبوتين) - إنه كلما  
كثر أعدائي ازددت قوة..

أما الآخر - (ستافروس) - فهو رقيق إلى  
حد الأنوثة.. رحيم إلى حد الخنوثة.. من  
طراز الشباب الذين أعدهم أهلهم لعائم لا  
وجود له.. عالم مفرداته هي (من فضلك -  
عفواً - أستمحك عذراً - شكراً).. وتكوينه  
الجسدي مقارب لتكوينه النفسي..

فهو بدين نوعاً.. متراخ.. تشعر حين  
ترى عينيه أنه يوشك على السقوط غافياً  
في أية لحظة..

ووجهه - الخالي من خشونة الرجولية -  
أقرب إلى وجه بقرة مسترخية راضية بما  
حولها من عشب..

لكنه - أشهد - يملك عقلاً راجحاً يفوق  
بمراحل عقل زميله الذي يشبه الطاووس.  
ولا يفوقه ذكاء..

بهذه المجموعة الشاذة بدأت عملية  
التنقيب بحثاً عن... عن ماذا؟.. عن شيء  
ما...!



عندما تزايدت حرارة المناخ. وعندما  
ازداد عدد الإغماءات.. وازداد بحر القيء  
حتى كاد يغرقنا: أمرت بتأجيل الحفر إلى  
المساء حيث الأنسام الرحيمة.. وعلى  
ضوء المشاعل..

فما دمنا لا نطارد أرنبا بريّا.. لا أرى ما  
يمنع من التوقف برهة..  
وجاء المساء..

المشهد يبدو كحلم ملون أهواه كثيرًا..  
مشهد الرجال وقد امتزجوا بالظلام وضوء  
الذهب، وهم يحاربون الصخور..  
صحيح أن البعوض يجعل منا الطبق  
الرئيسي في وجبة عشائه.. وأن الثعابين  
تداعب أقدامنا.. وأن العقارب تتذمر من  
تلويثنا لبيئتها في ساعات نزهتها الليلية:  
لكننا نستمع بالحفر الليلي دون شك..  
خاصة مع أغاني الرجال الغريبة على  
أذني..

الحفرة تتسع..

وأدنو منها لألقي نظرة مدققة.. ثم أضيء  
كشافى وأتأمل جوانبها... ويدنو  
(ستافروس) منى ليرى ما أراه...  
- من المؤكد أنّ هناك شيئاً ما هنا.  
- هذا محتم.. هذه الجدران المهدمة تؤكد  
ذلك..

كانت هناك فتحة.. والفتحة تبدو كأنها في  
سقف ما.. ونحن الآن نقف فوق هذا  
السقف.. نرنو لأسفل عاجزين عن رؤية ما  
يدور بالداخل..

أشرت للرجال كي يوسعوا الفتحة أكثر..  
فتذمر أحدهم من أن الوقت متأخر بما  
يكفى.. وهم يعملون طيلة النهار و...  
قاطعته صائحاً:



- أنا لن آخذ من وقتكم أكثر من ربع ساعة...

- إن الأجر الذي....

وهنا تدخل (باسيلوس) في كبرياء. ليزجر العامل ويزجرني معه دون قصد:

- هيه!.. لا تدللّه يا بروفيسور.. ولا تتوسل إليه.. أنا أعرف هذا الطراز من القوم.. يريد الانصراف ليلحق بالحانة مبكرًا. حيث يحسو لترين من (الأوزو).. ثم يعود لامراته ليوسعها ركلاً وصفعاً حتى الصباح.. ويجيء منهكاً ليعلن أنه بحاجة للراحة...

نظر له العامل في غل، وارتسمت بسمّة شريرة صفراء على وجهه، وأقسم إنّه كان

خليقًا بتهشيم رأسه الجميل بالمعول لو كان  
تهشيم الرءوس حقًا مشروعًا للإنسان..  
أشرت للعامل أن ينصرف.. ويعاود  
الحفر... ثم استدرت إلى (باسيلوس)  
لأصارحه محققًا برأيي:

- إن هؤلاء القوم فقراء يا (باسيلوس)،  
لكنهم لم يخسروا روحهم بعد.. فلا تفرط  
في إهانتهم معتمدًا على حاجتهم للمال..  
- حسن سيدي.. لكنّ بعض الحزم....

هنا صاح (ستافروس):

- هل يكفي هذا القدر يا بروفسور؟  
نظرت إلى الحفرة.. دنوت منها وسلطت  
الكشاف على قاعها.. وابتلعت ريقِي..  
- هل هذا كاف؟

سألني (باسيلوس) من وراء ظهري..  
لكني لم أرد عليه..  
كنت شارد الذهن أرمق القاع..  
هل أنا واهم أم أنني أرى عظاماً آدمية  
مكدسة هناك؟!...



## ٤ - التيه..

---

بالتأكيد هي عظام..  
وبالتأكيد هي آدمية..  
لكن كشفًا هذا ليس فريدًا في عالم الآثار..  
فالعظام ذاتها آثار مهما اختلفنا حول هذا  
الرأي أو ذاك.. المهم هو ما بداخل  
الحفرة..

وحول ضوء المصابيح رحنا نتجادل  
باحثين عن السياسة المثلى للتعامل مع هذا  
الكشف، الذي قد يقودنا إلى آفاق أرحب..  
ورأينا أن أصوب الحلول هو أن نعود إلى  
ديارنا، وفي الصباح الباكر يتدلى أحدهم

من الفتحة بحبل ليرى ما يدور بالداخل..  
هل هي مقبرة؟ لا أتوقع ذلك.. فالمقابر  
لها تصميمها، ولها رائحتها، ولها طابعها  
الذي لا يعجز عن تبيينه عالم آثار أو  
حانوتي..

من يدري؟ لربما كان هذا بيتًا أو قصرًا  
مغمورًا..

غفل عنه الزمن ردحًا.. ثم شاء حظه  
العائر أن نجده نحن..  
على كل حال.. سنعرف هذا غدًا..



عدت إلى الخان.. إلى غرفتي الصغيرة  
هناك؛ حيث كانت زوجتي (هيلين) جالسة

تحيك شيئًا ما على الأريكة.. وابنتي  
(ميليسا) تتسلى برسم شيء ما على الورق  
المتناثر على الأرض..

إن (هيلين) تصغرني بخمسة وعشرين  
عامًا.. وأعتقد أن ما يربط بيننا هو ما  
يُسمّى بالحبّ.. فالشيء الذي يدفع شابة  
حسناء مثلها إلى أن تتزوج رجلًا غير ذي  
مال ولا وسامة ولا قوة: لهو شيء غير  
مادي بالتأكيد.. وأعتقد أنه أقرب إلى لفظة  
(حب)..

لكنها لا تبدي هذه العاطفة أبدًا.. وتعاملني  
معاملة رسمية متحفظة جافة، كتعامل  
الرجال المهذّبين مع الغرباء..

أما طفلي (ميليسا) فهي شيء رائع..  
شقاء كعداري (الأوليمب) زرقاء العينين

كـ (فينوس) - لو كانت (فينوس) زرقاء  
العينين - وهي تحبني دون تحفظ.. وهذا  
هو أجمل ما في الأطفال.. الحب يعطى  
دون ثمن ولا تحفظ.. ويعطى كثيرًا جدًا...  
- عمت مساء يا (هيلين)..  
- مساء!..

هذه هي تحية المساء التي اختصرتها إلى  
أقصى حد ممكن.. فلو أنها استطاعت  
الاكتفاء بالهمزة لفعلت.. وكما ترى  
فالثرثرة ليست من عيوب زوجتي.. وهي  
كذلك لا تفرط في واجبها..  
- العشاء على المنضدة..

فأذهب إلى هناك، وأرفع الغطاء  
المصنوع من قش مجدول.. لأجد بعض  
الشطائر وحبيبات الزيتون. أعدتها لي على

عجل في مطبخ الخان.. أجلس لألتهم هذه  
الوجبة الهائلة.. وبالسكين أقتطع بعض  
شرائح الخبز أدسها في فمي وأرشف  
بعض (الأوزو)..



(ديمتريوس).. لا تتم أرجوك.. لا تغلق  
عينيك...



(ديمتريوس).. أشعر بأنني كلب أليف في  
الدار ينتظر عودة سيده ليلاً..





(ديمتريوس)... أنت لم تحقق شيئاً ولن  
تحقق.. خمسون عاماً من الدوران كالذبابة  
في غرفة موصدة.. وغداً يفتحون النافذة  
لتحلق منها نحو الأبدية.. غير تارك في  
الغرفة سوى صدى أزيز جناحيك..



يمكنني غداً - أو بعد غدٍ - أن ألعب دور  
الزوج المحب، أمّا الآن فأنا لا أصلح لأي  
عمل سوى النوم ثماني ساعات متواصلة..  
للأسف نحن محرومون من الاستحمام في  
هذا الخان لأنه - ببساطة - لا يوجد مكان  
يصلح لهذا.. ولا سبيل أمامنا سوى الذهاب

إلى العجوز (إيرين) للاستحمام عندها  
مقابل دراختين أو أكثر..

وكذا تراني يا د. (رفعت) راقداً في  
الفراش على ظهري.. وصدري يعلو  
ويهبط.. وغطيطي يعلو ويخفت.. وأحلم..  
أحلم ببئر مظلمة لا ينيرها سوى شعاع  
كشاف، وعظام آدمية تتكدس بلا عدد.. بلا  
عدد...



في ضوء النهار الفتى الذي لم يعلموه  
الغلظة بعد.. أقف وسط الرجال أرمق البئر  
التي حفرناها في الظلام أمس..

ولم أر في هذه المرّة شيئاً غير عادي..  
فما هو الطريف أو الجديد في بئر تعلو بناءً  
غامضاً، وتبطن العظام أرضيتها؟!!

نظر (باسيلوس) إلى الرجال نظرة  
صارمة.. وفي اشمئزاز طلب منهم أن  
يجلبوا السلم المجدول من الحبال..، ثم راح  
يشرف على تثبيته إلى وتدين على جانب  
فتحة البئر..، ومد يده يدفع السلم لينحدر  
عبر الفتحة حتى لامس القاع..

وبحركة درامية لا داعي لها على  
الإطلاق... نظر نحوي.. وهز رأسه طالباً  
أن أتمنى له حظاً سعيداً.. فهزرت رأسي  
كأنني (البابا) يدعو له.. وعلى الفور راح  
يهبط لأسفل فوق درجات السلم...

دنا (ستافروس) من خلفي.. ليتأمل المشهد  
وهو يلهث كالخنزير.. ثم غمغم:

- فتى شجاع.. لكنّ الموقف لا يستحق كل  
هذا المناخ الدرامي.. إنه لا يضحى بنفسه  
إلى هذا الحد الذي يتظاهر به.

قلت وأنا أشعل غليونني:

- هذا الفتى يعيش حالة عشق مبرح  
لذاته.. عشق يصل إلى حد البكاء.. وأنا  
واثق أنه هو وهو سعيدان معًا إلى أقصى  
حد..

وفجأة سمعنا نداءً مزمجراً قادماً من  
البئر.. فهرعنا لنرى ما هنالك..

كان صوت (باسيلوس) يصيح بي من  
أسفل:

- بروفيسور... هلا نزلت إلى أسفل  
معي؟.. تعال ومعك (ستافروس)...  
تبادلت و(ستافروس) نظرة متسائلة..  
ثم شرعت لاهثًا أنزل درجات السلم  
والغليون في فمي.. حتى شعرت بأنني  
أختنق.. بالواقع لم أعد أملك أي نوع من  
اللياقة البدنية.. وتلاني المترهل  
(ستافروس) الذي لم يكن أفضل حالًا...  
كان ارتفاع الأرض عن قاع الحفرة  
خمسة أمتار.. لكنّها بدت لنا كأنما نهبط من  
فوق جبل (كليمنجارو)...  
وعلى الأرض كان (باسيلوس) يقف  
مبتسما.. عاقدا ذراعيه على صدره.. وقد  
وضع الكشاف الذي يحمله على الأرض  
لنرى موطئ قدمينا..

نزلنا لنقف جواره. وعلى الفور فهمنا سر  
ندائه.. وسر انبهاره.. لقد كان المكان الذي  
يقف به ممتدًا إلى مسافة لا بأس بها..  
جداران قائمان بدا عليهما القدم يشكلان  
دهليزًا.. وفوق الرءوس نرى ضوء  
الشمس يتسرب من الفتحة التي منها نزلنا..  
- أترين؟ هذا نفق..

أعدت إشعال غليونني.. وتأملت الموقف:

- هذا حق.. ولكن إلى أين يؤدي؟

- ربما إلى مقبرة؟

وتأملت الأرض التي نقف عليها.. كانت  
من الحجر الصلد.. وقد تكدست فوقها  
العظام التي رأيناها من أعلى..

بالواقع كانت العظام متناثرة هنا وهناك..  
في كل مكان تقريبًا داخل هذا النفق

الغامض..

ولكن من أين جاءت؟.. لو كانت هذه مقبرة فالمفترض أن تتواجد العظام في شكل منسق بهيج، فوق رفوف محفورة بالجدار أو في صناديق خشبية متآكلة..

أما أن توجد هكذا كان هناك من عبث بها وبعثرها، فأمر لا أفهمه ولا أستسيغه البتة..

رفعت الكشف إلى أعلى مرسلاً الشعاع إلى نهاية النفق الذي نقف فيه. فرأيت جدارين يمتدان إلى بعيد. ثم يذوبان وسط الظلمة التي لم يستطع الشعاع أن يبددها..

- هلما يا فتيان لنرى ما هنالك..

وبدأت المشي بخطى مترددة..

غريب هو هذا الشعور الذي لا يوصف،  
والمذي يداهمني كلما مشيت في مكان لم  
يدخله سواي.. أو لم يدخله سواي منذ زمن  
سحيق.. إن الجدران تكتسب عندئذٍ  
شخصية مهيبه صموتًا.. وأكاد أشعر بها  
تراقبني، وتحصي أنفاسي، كأنما تحاول  
سبر غور هذا الدخيل.. مثلما يحدث في  
الأفلام الرديئة عندما يدخل غريب إلى  
حانة يملؤها الرعاع.. فيتوقفون عن  
الثرثرة والضحك.. ويثبتون عيونهم عليه  
في فضول وتحدي.. محاولين أن يقوموا  
وزنه...

هذه الجدران معادية.. أكاد على هذا  
أقسم...



ثمة علامات على بعض أجزاء الجدار..  
كأنما هناك يد قد رسمتها بـ (الطباشير)..  
وبصعوبة تبينت حروفًا يونانية كتبها  
أحدهم..

هذه الحروف تقون:

ي...ن... تأ... ون... ب... دي... أثر...  
وا... مل ور... ءكم...

مال (باسيلوس) يتأمل الكتابة على ضوء  
الكشاف... وفي وقاحة غمغم، وهو يلوك  
قطعة اللبان:

- هذا المعتوه كان يهوى الكلمات  
المتقاطعة..

ارتجف (ستافزوس). ومسح جبهته بيده..  
وهمس:

- بل هو تحذير على طريقة (دانتى).. لقد  
تخيل (دانتى) أن الجحيم قد كتبت على بابه  
عبارة.. يا من تدخلون هنا.. دعوا خلفكم  
كل رجاء.. هذه العبارة لابد أنها تقول: يا  
من تأتون بعدي.. أت... اتركوا وراءكم  
الأمل.. أو شيئاً من هذا القبيل..  
هزّ (باسيلوس) رأسه في ملل.. وقال:  
- إذن هو معتوه وشاعر.. لقد بدأ هذا يثير  
اهتمامي..

- دعنا نواصل الفحص..  
ورفعت الكشاف.. ورحنا نشق الظلمات  
بشعاعنا.. فكلما زالت الظلمة وجدنا المزيد  
منها بانتظارنا..

لابد أننا لم نمش سوى عشرة أمتار.. حين  
توقف (ستافروس) وأشار إلى جدار يسد

النفق أمام وجوهنا. عاكسًا ضوء الكشاف  
كافضل ما يكون. حتى تبدد الظلام تمام..  
وهتف:

- يبدو أنّ هذه نهاية انمغامرة..  
لكنني دنوت من الجدار.. ونظرت إلى  
اليمين.. وإلى اليسار..  
كان هناك نفق يمتد يمينًا.. ونفق يمتد  
يسارًا.. وكلا النفقين يعاني من قبضة  
شياطين الظلام...

- فلنر ما هنالك يا بروفسور..  
- لا داعي يا شباب..  
ونظرت لهما باسمًا.. وانتزعت الغليون  
من فمي:

- أعتقد أنّ هذا هو (اللايرنث)  
الأسطوري.. لقد وجدناه أخيرًا...!..



## ٥ - اشياء غير مألوفة..

---

أنت مثلي يا د. (رفعت) تفهم سحر  
المجهول وبريقه.. ورهبته..

القشعريرة المقدسة التي تغزو عمودك  
الفقري، كلما فكرت في ثلوج (الهيمالايا)..  
أو أعماق المحيط المظلمة.. أو غابات  
(الملايو) التي لم يجرؤ إنسان على  
اجتيازها...

أنت تفهم هذا.. ولسوف تريحني من  
عبء الكلام عنه..

أنت تفهم هذا.. لذا لن أطيل في وصف  
هذه الجزئية..



ثمة علامات على بعض أجزاء الجدار .. كأنما هناك يد  
قد رسمتها بـ (الطبشور) ..



- (اللابيرنث)؟.. تعني التيه الذي قام (ديدالوس) ببنائه من أجل (مينوس)؟
- بالتأكيد.. إن الأمر لا يحتاج لكثير من الذكاء كي نعرف أنّ هذه الممرات متشعبة إلى حد لا يصدّق..
- يوجد بناء أثري واحد يحمل هذه السمة وجميعنا يعرف اسمه..
- ثم إنني رفعت رأسي للسقف.. وهتفت بصوت مجلجل:
- أيها السيدان.. إن التاريخ يصنع ها هنا...!

انحنى (ستافروس) يتأمل الأرض.. ثم جثا على ركبتيه وأمسك قطعة ملساء من

العظام.. عظمة ساعد هي حتمًا.. وتساءل:

- سيدي.. هل تعني أنّ هذه العظام هي..

- نعم.. هي....

- عظام ضحايا (المينوتور)؟

- حتمًا.. وإلاّ بم تفسر تبعثرها في كل

موضع بهذه الكيفية؟ لو كانت هذه مقبرة

لوجدنا العظام مرتبة.. ولو كانت مقبرة

وسطا عليها اللصوص فكيف خرجوا؟

نظر لي (باسيلوس) وبصق قطعة اللبان..

ثم حك رأسه في حيرة.. وقال:

- و لكننا جميعًا نعرف أنّ هذه أسطورة..

قلت في صبر:

- (المينوتور) أسطورة.. هذا رأي يحتمل

الصواب والخطأ.. من الممكن أن يكون

أسطورة.. لكنّ (اللابيرنث) حقيقة.. وقد تم



إقحام الأسطورة عليها... مثل قصة  
(أوديب) مع (أبو الهول).. القصة مختلفة  
لكنّ (أبو الهول) حقيقة واقعة<sup>2</sup>.. ولقد  
نشأت كثير من أساطير البشر بهذه  
الكيفية.. لكني - برغم ذلك - لا أرى ما  
يمنع من أن يكون (المينوتور) حقيقةً..

جلس (ستافروس) على الأرض متربّعاً..  
وهو ما زال يلهو بالعظمة شارد الذهن.. ثم  
قال:

- والآن.. ماذا سنفعل..  
قلت وأنا أشعل غليونني الذي انطفأ ثانية:  
- لا شيء.. نغادر هذا النفق.. ثم نعود  
وفي نيتنا ألا نضل الطريق بداخله.. ومعنا  
ما يلزم من حبال وأجهزة اتصال لاسلكية  
ومعاول.. وبعدها نتحقق من أننا وجدنا

شيئًا هامًا: يمكننا إبلاغ هيئة الآثار في  
(أثينا).. إذا يبدو لي أنّ هذا التيه أكبر من  
قدراتنا..

نهض (ستافروس) وتثاءب.. فرمقه  
(باسيلوس) في اشمئزاز.. وسمعته يغمغم  
في حلق:

- كيف يمكن للإنسان أن يكون خنزيرًا  
كسولًا إلى هذا الحد؟

لم أعلق.. بينما نحن عائدون إلى الفتحة  
التي نزلنا منها.. ورحنا - بعناء كثير -  
نتسلق السلم الليفي إلى أعلى..

وفي الخارج كانت الشمس الحارقة تشوي  
الموجودات بلا رحمة.. وكان الرجال  
مبعثرين وقد سكب بعضهم الماء على

رأسه.. أو رقد عاري الجذع تحت قطعة  
قماش يحاول أن يجد تحتها ظلًا..  
ولم يبد واحد منهم أي فضول لمعرفة ما  
وجدناه، فالفضول لم يك قط من مزاياهم  
ولا عيوبهم..

أصدر (باسيلوس) بتعالٍ تعليماته لهم أن  
يعودوا لديارهم حتى إشعار آخر.. ثم راح  
و(ستافروس) يدقان بعض الأوتاد المعدنية  
حول فتحة البئر التي عرفنا الآن أنها ثقب  
في سقف التيه..

وقاما بربط حبل غليظ ما بين الأوتاد  
وبعضها ليكون سورًا يحجب الأطفال  
والفضوليين من السقوط في البئر..

أما وقد تم هذا.. فقد انتصف النهار.  
وحان وقت العودة إلى ديارنا.. أعني

غرفاتنا..



فيما بعد عرفت ما يلي:  
لقد عاد (باسيلوس) إلى غرفته في  
الخان.. ونزع ثيابه شاعرًا بالضيق لكون  
الحمام غير متاح.. لكن الأمر عاجل.. فقد  
تحول شعره إلى عجينة من التراب  
والعرق. لذا قام بالأسلوب العملي الوحيد،  
وهو أن يستحم مستعملًا قصعتين.. واحدة  
يملؤها بالماء.. والأخرى يقف فيها كي لا  
يغرق الماء الأرضية، وبكوز صفيحي  
صدئ يسكب الماء فوق رأسه وباليدي  
الأخرى يفرك قطعة الصابون على جسده..

وفي رضا راقب الماء المتسخ الذي  
تساقط من عليه.. شعور ممتع هو أن  
يعرف أنّ هذه الأقدار لم تعد تكسوه..  
ارتدى الروب وراح يتأمل في إعجاب  
صورته في المرأة..

وهنا دق الباب.. ورأى خيالاً مألوفاً يحمل  
عشاءه منعكساً في المرأة.. هذه هي  
(إيزبيا) ابنة صاحب الخان.. وهي فتاة  
تملك قدرًا متواضعًا من الجمال.. لكنّ لا  
يمكن وصفها بالقبح.. إذا تجاوزنا عن  
عرج بسيط..

تعسة هي.. بائسة.. يسهل على من يعرف  
النساء أن يعرف أنها تحب.. وبالطبع هو  
حب غير موفق بحال..  
- هوذا عشاؤك..

قالتها. ووقفت جواره صامته تتأمله. إذ  
يحدّق في المرأة..  
- هل تريدن شيئاً؟

لاذت بالصمت.. لثوان.. ثم تهانفت..  
ودفنت وجهها بين خصلات شعرها  
الأشقر.. ومن كيائها تصاعد صوت  
نههة..

في نفاذ صبر سألها:  
- ألن تكفي عن هذا الهراء؟  
- بلى.. بلى.. سأكف..

وازداد صوت النههة المتصاعد منها  
ارتفاعاً.. أردف (باسيلوس):

- لا أدري لم تأخذين الأمور على هذا  
المنحى.. إن الرجال يروحون ويجيئون..  
فلماذا أكون أنا وحدي المسئول عن

تعاستك؟ صه!.. لا تقولى شيئاً عن الحب..  
فأنا لن أمنح عواطفى لابنة صاحب خان  
أبدًا.. ولقد تدنيت كثيرًا حين أبديت لك  
لطفًا.. لكنّ القصة قد انتهت الآن يا فتاة..  
ولا داعي لأن تفسدي فصولها الأخيرة..  
- لكنى أحبب... -

رفع إصبعه محذرًا وعلى وجهه تقطية  
جادة:

- صه!.. هانتذى تعودين إلى لفظة  
الحب.. ولا أدري حقًا ما هو هذا الحب  
الذي تثرثرين به.. انظري لهذا الحساء...  
ومد المعلقة الصدئة فملأها من طبق  
الحساء.. ورفعها لفيه:

- أنا أحب هذا الحساء.. والآن..  
سلورب!.. لقد شربت ما بيطبقى.. ولم أعد

أحبه.. الأمر كهذا ودون تعقيدات..  
توقفت الفتاة.. وحاولت أن تقول شيئاً،  
بينما (باسيلوس) يلوك ما بالحساء من  
بصل وهو يرمق صورته في المرآة دون  
أن يحرك ساكناً.. وفي اللحظة التالية  
هرعت الفتاة مغادرة الحجرة..  
موقف قاس - خطر له هذا! - لكنه  
ضروري.. وهذا هو قدره.. كلما وجد فتاة  
أمامه ظل يلاحقها.. حتى إذا هامت به حباً  
صارحها بأنها غير جديرة به.. موقف قاس  
واجهه مراراً.. لكنه ضروري... فلو أن  
أحدًا ترك لأولئك الفتيات الحبل على  
الغارب. فماذا يبقى من ذاتيته؟ وماذا يبقى  
من حرите؟

لكن هذا الحساء لذيذ الطعم حقاً..





فيما بعد - أيضًا - عرفت ما يلي:  
كان (ستافروس) في تلك الأثناء جالسًا  
في حجرته، يدون التقرير اليومي عن  
نتائج الحفر.. حين دق الباب.. ورأى تلك  
الفتاة الرقيقة (إيزبيا) ابنة صاحب الخان.  
تدلف إلى الغرفة لتضع عشاءه على  
الخوان.. ثم تهم بالانصراف.. فنادها:  
- (إيزبيا).. انتظري لحظة من فضلك..  
فتصلبت الفتاة بحركة آلية.. ووقفت  
تنتظر..

تأمل وجهها.. وأدرك ما هنالك:  
- أنت كنت تبكين؟؟

لم تجب.. لكن العبرات تزداد غزارة كلما  
سال الحمقى عنها.. وكانت إجابة كأبلغ ما  
يكون.. من ثم عاد يتساءل:

- هل هو (باسيلوس) اللعين؟.. هل آذاك؟  
- كثيرًا يا سيدي.. كثيرًا...

قالتها بصوت مخنوق.. وقبل أن يسألها  
عن المزيد كانت قد غادرت الغرفة..

يا لـ (باسيلوس) اللعين!.. لقد اعتاد  
(ستافروس) أن يجد الخير نقيًا في أشر  
الناس طرًا.. وأن يجد الشر في ذوي النبل  
والصلاح.. إلا (باسيلوس).. هذا الوغد هو  
شر مطلق بلا ذرة من عطف أو رقة أو  
حنان.. إنه نموذج للشخصية الأنانية  
(السيكوباتية) التي لا تريد من المجتمع إلا  
مصالحتها.. ولا تعطيه شيئًا على الإطلاق..

أما أسوأ ما في الأمر؛ فهو أن  
(ستافروس) كان يهيم بالفتاة حبًّا.. منذ أن  
جاء إلى (كريت) وحتى الآن..



لأبد أن (إيزيبيا) وضعت الشال عني  
كتفيتها. وغادرت الخان عند منتصف  
الليل.. وحدها..

ولأبد أنها كانت تبكي.. ولأبد أن العبرات  
كانت تحول بينها وبين الرؤية الصافية..  
كل هذا مؤكد..

لكن القمر كان بدرًا.. وجعلها هذا تزعج  
أن تتجه نحو الهضبة حيث كان الرجال  
يعملون صباحًا..

من المؤكد لنا أنها فعلت هذا.. لأن آثار  
قدميها على الأرض الجيرية تؤكد أنها  
اتجهت في هذا الاتجاه...

كان يمكننا أن نقسم إن مشهد الهضبة كان  
رهيبًا في ضوء البدر البارد الفضي..  
وخيالات غامضة تتلاعب هنا وهناك..  
لكنّ الحزن لا يدع في النفس مكانًا لشعور  
آخر.. سواء كان الرهبة أو الخوف..  
و(إيزبيا) كانت حزينة..

حزينة إلى حد أنها لم تلاحظ أن الحبال  
المحيطة بموقع الحفر قد تمزقت.. وأن  
البئر صار بلا حدود تحيطه..

حزينة إلى حد أنها لم تسمع صوت  
الخطوات من ورائها..

حزينة إلى حد أنها لم تصرخ..

ولعلها لم تجد الوقت الكافي لذلك..



إنه الصباح..

وحين صحونا من النوم أدركنا أن الأمور  
ليست على ما يُرام في الخان. رجال  
يدخلون ويخرجون.. وضوضاء..

نظرت نحو (هيلين) متسائلاً عما عساه  
مصدر هذه الجلبة. وكانت الإجابة سريعة  
جداً.. وغير متوقعة بحال.

اقتحم غرفتي صاحب الخان - على غير  
استئذان - وهتف:

- ألم ترَ ابنتي (إيزيبا)؟..

- بلى.. وقت العشاء.. طبعاً..

- لم يرها أحد بعد هذا.. إنني لا أفهم...

ثم فارقتني غير منتظر لردي...



حزينة إلى حدّ أنها لم تسمع صوت الخطوات  
من ورائها ..

خرجت وراءه، لأجد الخان مليئًا بالوجوه  
المتسائلة. والشوارب الكثة. والبنادق لنفر  
من رجال الشرطة المحليين..

وكان (باسيلوس) يقف بينهم بقامته  
المديدة.. يكرر في ثقة:

- للمرة الألف أقول إنها قدمت لي العشاء  
ثم انصرفت.. وليست لديّ أدنى فكرة  
عن...

- اخرس أيها الثعبان!...

صاح (ستافروس) في عصبية.. وأنا لم  
أر (ستافروس) يتشاجر في حياتي،  
وعهدي به الليونة والاستسلام.. لكنه في  
هذه المرة كان ثائرًا كبركان، وقد احتشد  
الدم في وجهه وكاد يسيل من أذنيه..  
ورأيته يشير إلى (باسيلوس) متهمًا:



- إننى واثق أنّ هذا الفتى مسئول عن  
اختفائها.. لقد رأيت الفتاة وكانت في حال  
غير طبيعية.. وأنا أعرف أنّ هناك شيئاً ما  
بين الاثنين....!  
- هراء!..

قالها (باسيلوس) وهو يرمقه بنظرات لو  
أنها تقتل لأحالته إلى مصفاة آدمية..  
رفعت كفي في كياسة، طالباً حقي  
الطبيعي في أن أعرف ما يدور هنا بشأن  
اثنين من معاوني..، فقال لي أحد رجال  
الشرطة:

- الفتاة خرجت من الخان أمس عند  
منتصف الليل.. هناك من رأوها تفعل..  
وآثار أقدامها واضحة على الأرض.. ثم لا

أثر لها بعد ذلك.. نحن نعتقد أنّ هناك من  
تحرش بها.

في غضب صاح (ستافروس):

- بل انتحرت.. بخعت نفسها، وعندي  
على ذلك ألف يقين.. لقد آذى هذا العقرب  
الوسيم روحها.. ابحثوا يا رجال عن جثتها  
في بحيرة.. أو مهشمة أسفل مرتفع.. أو  
مدلاة من حبل في سقف كنيسة مهجورة..  
صحت فيه محققاً:

- (ستافروس)!.. أمرك أن تخرس.. لا  
تزد الأمور تعقيداً..

ثم نظرت إلى الرجال طالباً أن يدلوني  
على مسار خطوات الفتاة.. وخرجنا في  
موكب غاضب من الأهالي ورجال  
الشرطة، ونساء (كريت) المولولات دائماً

في ثيابهن السوداء.. كل هذا يحيط  
بالفتيين..

وفي ضوء الشمس الحارق رأينا خطوات  
حذاء أنثوي تتجه نحو المرتفع.. المرتفع  
حيث كان الحفر يجري بالأمس..

صحت في الرجال وقد فهمت ما جرى:  
- هناك من مزق انحبال المحيطة  
بالفتحة.. لا بد أن الفتاة قد سقطت في البئر  
إلى داخل التيه...!

- إذن هاتوا الحبال...!  
وتدلى أحد الرجال - من ذوى الوزن  
الخفيف - في حبل.. وراح ينزلق عليه إلى  
أسفل بحذر..

على حين وقفنا نحن بأعلى نرمى الفتحة  
المظلمة، ونرمى رأس الرجل ينزلق ببطء

ليختفى في الظلام.. وتمر دقيقتان..

ثم سمعنا صوته ينادي في هلع:

- يا رجال... قد وجدت عظامها...

تصايح الناس في هلع.. وهوى أبوها على  
ركبتيه يقرع رأسه بكفيه.. وصرخت  
عجوز وشقت ثيابها...

هنا صحت كي أهدئ الجميع:

- صبرا يا إخوان..... إن هذه العظام  
موجودة منذ الأمس.. وهي تعود لتاريخ  
سحيق.. وحتى لو فرضنا أن الفتاة قد  
سقطت في البئر.. فما كان لها أن تتحلل  
بهذه السرعة!.. إن (إيزيبيا) في مكان آخر  
دون شك..

بدا عليهم الاقتناع. وتنفس بعضهم  
الصعداء..

ثم رايت الرجل الذي كان قد هبط إلى  
القاع يصعد متسلقًا الحبل ثانية.. وفي جيبه  
دسّ ثلاثة عظام ليرينا إياها.  
قال رئيس الخفر. وهو يُلقي بالعظام  
أرضًا:

- لا عليك يا (خريستو).. ما دمت لم تجد  
الجثة ذاتها مهشمة العنق: فما زال أمامنا  
أمل..

ثم التفت إلى الرجال أمرًا:  
- فلنفتش الكنيسة المهجورة.. ونمسح  
الشاطئ كله..

وانصرف الرجال جميعًا.. في حين  
تخلفت أنا و(ستافروس) و(باسيلوس)..  
كان (ستافروس) راكعًا على ركبته

يتفحص عظمة طويلة وجدها بين هذه  
العظام التي أخرجها الرجل من البئر..  
- هل ثمة شيء يا (ستافروس)؟  
قال وهو يتشمم العظمة.. ويتفحصها في  
عناية:

- إنها عظمة ساق.. أشعر من رائحتها  
وملمسها أنها طازجة.. لم تجفها السنون  
كباقي العظام...

ثم نظر لي نظرة ذات معنى.. وأردف:  
- إن لي خبرة طبية معقولة لأنني بدأت  
دراسة الطب ولم استكملها.. هذه العظمة  
هي قسبة ساق يسرى.. ويوجد كسر سيئ  
الالتئام في منتصفها.. (باسيلوس).. لقد  
كانت (إيزيبيا) تعرج في سيرها قليلاً.. فأية  
ساق كانت تعرج بها؟

بلل (باسيلوس) شفتيه بلسانه.. ونظر إلى  
الأفق.. وغمغم:  
- كانت تعرج بساقها اليسرى!!..

.....



## ٦ - ومزيد من الأشياء..

---

قمنا بإعادة ربط الحبال حول البئر، وزدنا عددها هذه المرة لتكون سورًا حقيقياً يمنع أي شخص من الدنو هناك..

لم نخبر أحدًا بقصتنا لأن احتمال الخطأ وارد.. ومادام اسم الإنسان لا يكتب حفرا على عظامه. فنحن لا نستطيع أن نقسم إن هذه هي عظام الفتاة..

غدا نستكمل البحث داخل هذا التيه. ونعرف أكثر..

أما الآن فننبق السر بيننا.. لأن أول ما سيقوم به هؤلاء الأهالي المحنقون، هو أن



يطلقوا على البئر اسمًا شاعريًا مثل (فم  
الشيطان).. ثم يحضروا الديناميت أو  
الخرسانة ليسدو هذا الفم نهائيًا، ويضيع  
علينا كل المجهود الذي قمنا به، ولن نعاود  
الحفر إلا في حماية كتائب من الجيش  
اليوناني ودبابتين على الأقل..  
لهذا عدنا إلى قواعدنا سالمين..  
وفي نفس الوقت كان الرجال يبحثون عن  
شيء ما في الجزيرة كلها.. دون جدوى  
طبعًا..



تسألني - وأنت محق في هذا - عن السبب  
الذي منعنا من سد الحفرة نهائيًا.. لقد

عرفت فيما بعد مدى خطئنا..

لكن ماذا أقول لك؟

إننا يونانيون.. ونخضع لقواعد الدراما  
الإغريقية (الأرسطوطالية) حيث البطل  
يسير - بإصرار مزعج - نحو قدره..  
وحيث ينذره كل شيء بالمصير المحتوم  
لكنه لا يبالي..



عند العصر عاد الرجال خالي الوفاض  
إلى الخان..

ورأيت صاحب الخان - أبا (إيزيبيا) -  
يتقدم في خطوات متثاقلة إلى منتصف  
قاعة الطعام.. مغبرًا مشعثًا ملوثًا بالعرق..

وقد اختلط شعره بالتراب، وتمزقت ثيابه..  
لأبد أنه زحف داخل أكثر من كهف..  
وتعلق في أكثر من سقف.. وغاص في  
أكثر من بئر..

كانت عيناه جمرتين متقدتين من لهب..  
ورأيته يقف أمام (باسيلوس).. بينما هذا  
الأخير مازال يلوك قطعة اللبان في  
استعلاء، ويداه في جيبه متحديًا..

قال صاحب الخان ضاغطًا على أسنانه:  
- اسمع يا ابن الشيطان.. لم أجد دليلًا  
على أنك مسئول عن اختفاء ابنتي.. لكني -  
والله يعلم ذلك - أعرف أن لك علاقة  
بالأمر.. لهذا اعتبر نفسك إنسانًا ميتًا من  
الآن فصاعدًا!..

بلا مبالاة تساءل (باسيلوس):

- هذا مسل.. ومتى؟
- حين أقرر أنا.. والآن اخرج من هنا!..
- لا أريد أن أراك تحت سقف داري ثانية..
- وأشار إلى الباب في حزم..
- فمشي (باسيلوس) بين الدهماء، متظاهراً
- بعدم اللامبالاة.. وخرج..
- قلت محاولاً تهدئة الأمور:
- أي (يائي).. إن الفتى لم يفعل ما تظن
- أنه فعله..
- لا يهم.. ما أعرفه هو أن له علاقة ما
- بالأمر..
- قال رئيس الخفر. وهو يصب لنفسه
- بعض النبيذ:
- غداً نواصل بحثنا.. نحن لم نتفقد قبو
- الخمور بعد..

قال قائل:

- والطاحونة المهجوة..

- إن غدًا لناظره قريب.. أمّا الآن فقد بدأ  
الظلام..



بدأ الظلام..

يا لهذا الحارس الليلي من كائن غريب!..  
بعباءته السوداء المدلّمة يخطو منحني  
القامة بين الدروب.. يطفئ هذا المصباح  
وذاك.. يُلقي عباءته فوق المنعطفات وبين  
الديار.. يبعثر زهور الغموض والرّهبة هنا  
وهناك.. يحييه اليوم.. وترف له أجنحة

الوطاويط.. وتنبح الكلاب.. وتعوى القطط  
الضالة..

إن الظلام هو الملك المطلق للبلاد..  
فالمجد له..

لكن الظلام لم يثر خوف (لازاريدس)..  
إنه يعرف هذه الجزيرة كظهر يده..  
ويعرف أنه ما من شيء يحدث فيها على  
الإطلاق، وحتى لو حدث شيء فهو يحدث  
للاخرين فقط.. الاخرون فقط يجرحون  
ويصابون ويموتون.. أمّا هو...

الحقيقة الآن هي أنه ثمل تمامًا..  
لقد أفرط في احتساء (الأوزو) في الحانة  
منذ ساعة. وهو يعرف ما سيحل به حين  
تعرف امرأته ذلك...

(نانا) القوية الضخمة سليطة اللسان..  
ستبدأ بالصراخ فيه، ثم تكيل له عددًا من  
الكلمات.. ثم...

لا يهم.. فلم تعد ضرباتها تؤلمه...  
المشكلة هي أنه يشعر بساقيه لينتين  
كعودين من (المكرونة) المسلوقة، أو  
قالبين من (الهلام)..  
المشكلة هي أن البيت مازال بعيدًا.. بعيدًا  
جداً..

يمكنه اختصار المسافة لو صعد هذا  
المرتفع، ليمر بموقع الحفر الذي يعمل به  
كل هؤلاء المخابيل من (أثينا).. والذي  
يعمل به هو أيضًا.. لكنه لن يعمل به غدًا  
لأنّه بالتأكيد سيظل فاقد الوعي حتى  
الظهر.. وسيصحو بصداع لعين..

وسيحسو أقداح عصير الطماطم محاولاً أن  
يفيق من تأثير هذا السم..

شرع يغني بصوت عالٍ:

- لا يا (ميخائيلوس).. أنا لن أعود لسماع

أحانك جوار شجرة (الدردار).. لأن...<sup>3</sup>

لا هتأ يرقى المنحدر.. واللعب يسيل من  
فيه..

- .. لأن.. القرية كلها تعرف أمرنا...

.....

تباً... هذه الصخور تمزق نعليه.. إن  
أنفاسه لم تعد تطيب...

- ولأن أبي قال لي.. لا.. ليس

(ميخائيلوس).. إنه لا يجيد سوى عزف

المزمار.. وأمي... ..



هيه...!.. هو ذا قد وصل إلى جوار الحفرة  
التي حفروها أمس.. والتي حسبوا أن الفتاة  
قد وقعت فيها..

- وأمي قالت لي.. لا.. ليس  
(ميخائيلوس).. إنه لا يملك سوى قلبه الفتى  
وذراعيه القويين.. و...

شيء غريب!.. إن هذه الحفرة تحيطها  
حبال ممزقة تتدلى من أوتادها.. لماذا  
يحيط هؤلاء المخبولون حفرتهم بأنصاف  
حبال؟ من الغريب أيضًا أن.. أن ماذا؟..  
لقد نسي!.. هي هيه!.. إن أفكاره سريعة  
البخر حقًا..

وبصوت أجش واصل الغناء:

- .. وخالتي قالت لي.. لا.. ليس  
(ميخائيلوس).. فهذا الفتى يملك عيني

تسحران من تراهما.. لهذا...  
يخيل له أنه يسمع صوت خطوات من  
وراء ظهره...

خطوات.. وصوت أنفاس لاهثة.. لا.. بل  
هو شيء أقرب إلى خوار الثيران..  
- .. لهذا يا (ميخائيلوس).. لن أعود  
لسماع ألكانك جوار شجرة (الدردار)..  
هذا الشيء ثقيل الحركة بالتأكيد...  
إنه يدنو منه أكثر فأكثر..

وفي اللحظة التالية أحسّ بكف ثقيلة  
توضع على كتفه..  
صرخ في هلع.. واستدار ليرى..



أنهت (ماريا) غسل الثياب لأسرتها  
الصغيرة..

للأسف أن الوقت ليل.. لكنّها واثقة من  
أنّه سيجف سريعًا. لأن الهواء جاف حار...  
وهو أنسب لجفاف الثياب..

شرعت تعلق الثياب فوق الحبل الذي يمتد  
من جدار دارها إلى شجرة البلوط القريبة،  
ثم إنها عادت إلى الكوخ لترى ما إذا كانت  
طفلتها غافية في سلام...

إن (ماريا) على قدر لا بأس به من الجمال  
برغم أعوامها الأربعين. وطفلتها قد ورثت  
عنها ذات الجمال.. لذا بدت الصغيرة  
كملاك نائم.. ملاك بلل ثيابه الداخلية  
للأسف!..

نزعـت عن الطـفلة سرـاويلها واستبدلتها  
لها، دون أن توقظـها.. ثم رأت أن الوقت  
مبكر بعد.. ولن يعود زوجها من الحانة -  
ملتقى كل رجال البلدة - إلا بعد ساعتين..  
فلماذا لا تنتهز الفرصة وتغسل هذه  
الثياب في البئر سريعاً؟ إن البئر قريبة..  
والقمر الليلة مكتمل..  
لهذا غادرت الدار بسرعة. قاصدة البئر  
التي تقع جوار المرتفعات..  
وهذه هي مشكلة الطموح الزائد..  
لقد أنساها هذا الطموح أن تغلق باب  
الكوخ على طفلتها النائمة.. و..



كان هذا هو (ميكوس) العجوز خفير  
الدرك..

- (لازاريدس) أيها السكير.. لسوف تهشم  
عنقك يوماً ما في إحدى جولاتك الليلية..

تنفس (لازاريدس) الصعداء.. وهوى  
على رأس (ميكوس) يلثمها:

- لقد أخفتني أيها العجوز.. إن لأنفاسك  
خواراً كخوار ثور...

- إنه الربو يا (لازاريدس).. الربو.. هلا  
عدت لدارك الآن؟ إن أشياء غريبة تقع في  
البلدة هذه الأيام.. ويبدو أن هؤلاء الأثينيين  
أبناء الشياطين قد جلبوا نحسهم إلى  
(كنسوس).. هيا.. عد إلى دارك..

هز (لازاريدس) يديه في وجه البدر..  
وهتف:

- كنت أفرح أيها العجوز.. أفرح..  
وعاد يغني في صوت أجش وهو يترنح  
مبتعدًا..

- لا.. يا (ميخائيلوس).. أنا لن أعود  
لسماع ألحانك جوار شجرة (الدردار)..  
كانت هذه هي الأغنية التي ردها.. كما  
أكد (ميكوس) في المحضر الرسمي الذي  
كتبه بعد يوم..

ولقد أثار هذا الاهتمام بالتفاصيل ضيق  
رئيس المخفر، لكنه رأى ألا بأس من ذكر  
هذا في المحضر..

والمؤكد أن (لازاريدس) قد شفي من  
إدمان الخمر بعد تلك الليلة..  
شفي إلى الأبد..



خيل إلى (ماريا) أنها سمعت صوت  
خطوات، فنظرت حولها لترى.. ولم يكن  
هناك شيء..

عادت تغسل الثياب الداخلية لطفلتها في  
مياه البئر..

حين خيل إليها أنها تسمع صوت خوار  
كخوار الثيران..

مستحيل هذا.. لابد أنه صوت جريان  
المياه..

واصلت غسيل الثياب.. حين بدأت تشعر  
الصوت يزداد ارتفاعاً.. كان القمر يرتمي  
أمامها في مياه البئر.. ومعه وجهها  
الوسيم.. وفي كل لحظة تهتز الصورة

وتتموج.. تذكرت - بالتأكيد - قصة الفتى  
(نركيسوس) الذي عشق صورته في الماء.  
وحسب أنها عروس بحر حسناء، فكلما  
حاول أن يلثمها تشوّش الماء.. وغابت  
الصورة عن ناظريه.. وفي النهاية انتحر  
الفتى المطعون في حبه جوار ضفة النهر،  
ومن جثته نمت أزهار نرجس<sup>4</sup>...

إن وجهها هو أقرب إلى وجه عروس  
بحر حسناء، ترمقها من تحت الماء في وله  
وافقتان..

لكنها لاحظت شيئاً آخر يطل من فوق  
كتف عروس البحر في الماء.. ثم تذكرت  
أنّ هذا الشيء هو بالتأكيد يقف خلفها  
هي...!

لم تتبين ما هو..



لكنها عندما تبينته عرفت أنه رأس..  
رأس شيء ما..  
شيء يقف خلفها الان.. ويصدر أصواتًا  
غريبة...!



وحين مر (لازاريدس) قرب البئر..  
لأبد أنه رأى مشهدًا مروعًا.. مشهدًا لم  
يستطع فهمه من اللحظة الأولى.. لكنه في  
ضوء القمر يبدو واضحًا بغير حاجة إلى  
مزيد من الإضاءة..، وطارت الخمر من  
رأسه فورًا..  
لأبد أنه صرخ.. لأبد أنه جرى..

وفجأة توقف وهو يشعر بخفقات قلبه  
تتسارع وتتسارع. حتى لم يعد يستطيع  
التحكم فيها...

ألم ممض يغزو صدره.. وستار أسود  
يهبط أمام عينيه..  
وإذ سقط أرضاً.. لا بد أنه رأى الشيء  
يدنو منه..





وإذ سقط أرضاً .. لا بد أنه رأى الشيء يدنو منه ..

## ٧ - أسطورة المينوتور...

---

لقد عم الغضب البلاد.. وجاحت  
العواصف في أرجاء المعمورة.. ومن بين  
الغيوم هطل سيل غاضب هتون..

هكذا كان (هوميروس) أو (سوفوكليس)  
سيصفان رد الفعل الذي اجتاح أرجاء  
(كنسوس)، حين صحى الناس ليجدوا  
مأساتين في جزيرتهم الهادئة..

(لازاريدس) العجوز وجدوه ملقى على  
الأرض قرب البئر، وعلى وجهه أعتى  
أمارات الرعب..

أما (ماريا) فقد عاد زوجها ليجد طفله  
تبكي وحيدة في الكوخ.. وراح - مسعورًا -  
يبحث عنها في كل صوب..

وفي الصباح وجد ثيابًا ممزقة قرب  
البئر.. وقطرات دم.. ثم لا شيء يدل على  
مكان زوجته.. لكنّ الثياب ثيابها حتمًا..  
والثياب الملقاة على حافة البئر هي سروال  
داخلي لطفله.. واضح أن الأم التعسة  
كانت تغسله حين.. حين ماذا؟  
لا أحد يدري...



في دار العمدة جلس عشرة رجال حول  
منضدة، يحتسون القهوة ويدخنون. وقد

بدت عليهم أمارات الجدّة..  
كنت أنا بين هؤلاء الرجال.. و(يائي)  
صاحب الخان.. و(ستافروس)  
و(باسيلوس).. والعمدة نفسه ببدانته  
وصلعته المميزة. وشاربه القصير  
المضحك..

وخارج الدار وقف خمسون رجلاً هائجاً،  
عازمين على تحطيم أي شيء في أية  
لحظة لأي سبب.. فقط امنحهم فرصة  
الانفجار.. إن الإنجليزية تحوى لفظة هي  
panic لانملك مثلها في اليونانية، ولا  
أدري إن كان مثلها في العربيّة.. إنها تعبر  
بصدق عن الهلع الجماعي المصحوب  
بانفلات أعصاب، مع عجز تام عن  
التعقل..

وهلع كهذا هو ما يجعل رواد مسرح  
يتدافعون نحو الباب إذا رأوا دخانًا أو شموا  
شياطينًا.. غير عابئين بتهشيم بعضهم  
البعض تحت الأقدام، أو سحقًا فوق  
الجدران.

ولفظة panic هي خير تعبير عن حالة  
القوم في هذا اليوم..  
وفي الداخل كنا أكثر هدوءًا.. وكنت أنا  
أقول في تعب:

- هكذا.. ترى يا عمدة أننا في مأزق..  
وأرجو أول ما أرجو أن تعيد الاعتبار إلى  
مساعدي (باسيلوس)..  
هتف العمدة في تبسط:

- طبعًا.. طبعًا.. أعتقد أن (ياني) لم يعد  
يحمل ضغينة ما..

ابتسم (يائي) ابتسامة صفراء.. ولم يقل شيئاً..

أضفت وأنا أشعل غليونني..

- نحن الآن واثقون أنّ هذا الشيء الذي يجتاح القرية؛ وكلفنا أرواح ثلاثة أبرياء.. إنما جاء من الحفرة.. جاء من القبو الذي وجدناه بالأمس.. والدليل على هذا هو تمزق الحبال التي أحطنا بها الفتحة أمس.. للمرة الثانية تتمزق... وأنا لست ميلاً إلى أنّ هذا عبث عابث.. فلا سبب يدعو شخصاً عاقلاً لتمزيق حبال تحيط ببئر.. إن الشيء هو الذي مزّق الحبال.. وأكاد أجزم أنه كان يحمل ضحيته إلى البئر عائداً في كلّ مرّة...



ومددت يدي إلى لفافة من ورق أحملها..  
وقلت:

- هوذا الدليل على كلامي.. هذه العظمة  
أثارت انتباه (ستافروس).. أمس.. وأعتقد  
أنه مصيب..

ورفعتها ليروها.. وبالطبع تحاشيت ذكر  
أسماء، لأن هناك احتمالاً لا بأس به في أن  
يكون (ياني) هو أبو صاحبة العظمة!  
- كما ترون.. هذه العظمة طازجة..  
نخاعها أحمر.. ويخيل لي أنها تخص  
إحدى ضحايا الشيء.. وقد وجدناها في  
الحفرة..

ساد الصمت هنيهة..

بعد لحظات تساءل أحد الرجال:

- ولماذا لم يمس هذا الشيء  
(لا زاريدس)؟..

- لأنّه كان قد مات.. وهذا ما تفعله الدببة  
حين تجد جثة.. فتتشممها.. ثم تنصرف  
عنها في فتور...

مرة أخرى عاد الصمت...  
وإن كنت قادرًا على سماع الأفكار تدوي  
في أذهان الجالسين، وأن تعد أنفاسهم...  
بعد قليل همس العمدة:

- أرى أن الجميع يشاركني الرأي في  
وجوب سد الحفرة..  
قلت في إحباط:

- لكنّ كشفًا كهذا لا يمكن أن يُدفن..  
- إن الخطر يفوق الفائدة المرجوة.. وعلى  
كل حال يمكنكم دائمًا أن تعودوا مع حشد

من عسكري (أثينا)، لتفتيش الدهليز..  
ومحاصرته.. وتمشيطة..



هنا تساءل (ستافروس) وهو يضع القدر  
على المنضدة:

- ترى هل ما زلت تؤمن بوجود  
(المينوتور) يا بروفيسور؟

تصايح الرجال بالكلمة في دهشة..  
فكلهم سمعوا هذه الأسطورة منذ نعومة  
أظفارهم.. و(كريت) كلها تعيش في هذا  
الجو منذ الفجر وحتى غروب الشمس...

- (مينوتور)؟ (مينوتور)؟..  
قلت أنا محاولاً أن أبدو عقلانياً باردًا:

- هذا مجرد فرض.. (اللابيرنث) به وحش.. فماذا عساه يكون هذا الوحش سوى (المينوتور)؟..

ابتسم العمدة في تهكم مهذب..  
على حين قال (ياني) وهو ينزع البيريه من على رأسه:

- لو فرضنا هذا جدلاً.. فالأسطورة ذاتها تقول إن (ثيديوس) قتله.. فكيف عاد للحياة؟

- أنا أفترض ولا أملك أدلة.. لكن لماذا لا نفرض أن الملك (مينوس) أذاع هذا لينهي حربه مع (أثينا)، وينقذ ماء وجهه من إلغائه لفدية سنوية كانت تؤرق ضميره؟

لماذا لا نفرض أن (ثيديوس) كاذب؟ لماذا لا نفرض أن (ثيديوس) شخص افتراضي،

ولم يكن له وجود؟

قال العمدة ملوحًا بكفيه:

- ليكن.. ليكن.. نحن لن نضيع الوقت في افتراضات لا جدوى منها.. ليكن ما بالقبو هو (المينوتور) أو حماتي لا يهم.. المهم أن هناك وحشًا مفترسًا يجب منعه من الخروج...

ثم أصدر أوامره إلى رجلين جالسين، بدت عضلاتهما المفتولة في الساعدين والكتفين العريضتين..

- (سبيروس) و(كوستا).. عليكما أن تصحبا الرجال إلى البئر.. وتقوما بما يلزم لسد هذه الفتحة..

- ليكن.. سندعمها بالحديد، ثم نصب فوقها طبقة من الأسمنت.. وبعدها نهيل

التراب عليها.. ونرويه..

- على بركة الله..

فلم يكد المساء يجيء، حتى اختفت الفتحة  
تمامًا.. ولم يعد يسيرًا العثور عليها حتى  
بالنسبة لنا..

إنه قرار صائب حقًا...



نعم.. هو قرار صائب بالنسبة لـ  
(نيقوس).. ولن يتراجع عنه..

كان الجميع يقولون إنه مشاغب، ويقولون  
إنه مولع بالتحدي وروح القتال..  
وقد كان كذلك..

إن أعوامه العشرة تغري من هم أكبر  
بالسخرية منه.. ولطالما حاول أن يتفوق  
على من كانوا أكبر منه سنًا.. استعمل  
ألفاظًا أكثر بذاءة من ألفاظهم... حفظ نكاتًا  
أوقح من نكاتهم.. تعلم تدخين التبغ مثلهم..  
تشاجر مرارًا على غرارهم...

لكنهم لم يقبلوه قط بينهم.. دائمًا كان  
بالنسبة لهم (ذلك الغرير).. ولطالما سخر  
منه (فرانجوليس) - أو (فرنجو) كما  
يسمونه - لأن صوته رفيع كالفتيات وذقنه  
ناعمة لا تكسوها تلك الخشونة السوداء  
المحببة في ذقون هؤلاء...

كان يحتد أحيانًا.. لكنّ بعض لكلمات كانت  
تلقى به أرضًا فوق الغبار، يبكي كرامته  
الجريحة أكثر من بكائه ألمًا..

واليوم قال له (فرانجوليس)، وهو يمسك  
بتلابيبه:

- اصغ لما أقول يا (نيني).. وإلا فتحت  
كرشك..

كان النصل الحاد للمطواة الصدئة ينغرس  
في لحم بطنه. وكان يعرف أن (فرانجو)  
لن يجروء على (فتح كرشه): لكنّ الشعور  
كان كريها وغير مريح بالتأكيد..

- أنت تزعم أنك رجل.. أليس كذلك؟..

قال بعناد:

- بلي.. رجل...

- إذن.. ستريني ذلك..

وقاده مع عصابة الفتيان المراهقين إلى  
المرتفع.. قرب مكان الحفريات التي كان  
يمارسها الرجال من (أثينا)...



ورأى (نيقوس) حفرة في الأرض..  
جواره تراب متكوم ومعول..

- نريد منك أن تهبط في هذه الحفرة!..  
قال واحد آخر وهو يشعل لفافة تبغ..  
(عُقب لفافة في الواقع):

- نحن حفرنا هذه الحفرة.. إن شيئاً مروّعاً  
يحدث بهذا المكان.. ولقد ردموا اليوم  
الحفرة التي صنعها الأثينيون.. لكننا  
اصطنعنا هذه.. وستكون هي اختبار  
شجاعتك..

ونظر (فرانجوليس) إلى عينيهِ.. وهتف:

- هل تجرؤ على النزول يا (نيني)؟

- ولم لا؟

قالها بتحدٍ كعادته.. فتبادل (فرانجوليس)  
نظرات السخرية مع من حوله، وهو يلوك

عودًا من الثقاب بين أسنانه..  
إن زعامة هذا الطراز من المراهقين؛  
تكون للأكثر قدرة على إيذاء الآخرين..  
والأكثر سادية.. والأكثر بذاءة..  
وكان (فرانجوليس) يعي أنه لكي يحتفظ  
بزعامته عليه أن يحافظ على درجة معينة  
من السادية والبذاءة.. و القسوة..

لذا قال للصبي:

- ليس الآن يا (نيني).. بل ليلاً!..

قان واحد من العصابة:

- لا تقس على الأنسة يا (فرانجو).. أنت

تعلم أنه لا يجرؤ!..

قال (فرانجو) في لهجة رحيمة:

- حقًا يا شباب.. وهذا مؤسف.. إن هؤلاء

الأطفال...

وهنا كان طبيعيًا أن يثور الصبي. وقد لعبوا على الوتر الحساس المضمون.. صعد الدم إلى رأسه وأزمع أن يقبل لعبتهم الخطرة دون مناقشة..

- ليكن يا (فرانجو).. الليلة عند منتصفه..

- هذا ولد شجاع...



وها نحن أولاء نرى (نيقوس) وقد عقد أمره على قبول التحدي.. كان خائفًا.. لكن كبرياء الأطفال كانت أقوى من خوفه.. ها هوذا يدنو من البئر الجديدة التي حفرها هؤلاء..

فيجد - في الظلام - (فرانجو) وثلاثة  
آخريـن ينتظرونه.. وناولـه الأول شمعة..  
وأشعل فتيلها.. ثم غمغم:

- ستقضى ربع ساعة هناك.. بعدها  
تخرج.. وسنكون بانتظارك لنعلن أنك حقًا  
رجل..

تناول الصبي الشمعة دون كلمة..  
ثم اتجه إلى فتحة البئر، حيث كان حبل  
غليظ ربطه المراهقون في شجرة قريبة..  
وبدأ يتدلى إلى أسفل ممسكًا الشمعة بيد..  
والحبل بيد أخرى..

ولم يكن الارتفاع كبيرًا.. خمسة أمتار لا  
أكثر..

وسالت قطرة من الشمع الساخن على  
كفه.. فهزها ليخفف من الحرق الذي شعر

به... لعق يده.. ثم تخلي عن الحبل..  
ونظر لأعلى ليرى.. فوجد الحبل  
يرتخي.. ثم يسقط من أعلى ليتكوم على  
الأرض جواره كثعبان ميت..  
وفي اللحظة التالية رأي وجه (فرانجو)  
يطل من أعلى:  
- حظًا سعيدًا مع الاشباح يا (نيني).....  
سنعود لك في الصباح لنراك.. هوهوه!..  
أو لنرى ما تبقى منك... هوهوه!..  
ودوت عدة (هوهات) من الثلاثة  
الواقفين حوله..  
وعندئذ فقط تذكر (نيقوس) أنه مازال  
طفلاً..  
طفلاً وحيداً في الظلام...



## ١ - الوحش بيننا..

---

الخاطر الأول هو وضع الشمعة على الأرض وتثبيتها:

الخاطر الثاني هو تسلق الجدار للخروج من الحفرة..

نظر (نيقوس) إلى أعلى...

المشكلة هي أن الفتحة في منتصف السقف. وليست جوار الجدار. وبالتالي عليه أن يتسلق لأعلى.. ثم يمشي على السقف كذبابة حتى يصل إلى الفتحة.. ويخرج جسده منها..

أمّا محاولة قذف الحبل لأعلى ففاشلة  
حتمًا. لأن الحبل لن يجد ما يتعلق به...  
وهنا - على ضوء الشمعة المتراقص -  
رأى قطعة حجر بارزة من الجدار قرب  
السقف..

سيكون عليه إذن أن يقذف حبله ليلتف  
حول هذا الحجر.. ثم يتسلقه إلى أعلى..  
وحين يصل إلى مستوى الحجر ربما أمكنه  
أن يعيد قذف الحبل إلى حافة الحفرة..  
وربما أمكنه أن يصل إليها..  
مد يده يصنع أنشودة من الحبل..

وفي حذر كوم الحبل.. ورماه إلى أعلى..  
فشل مرّتين.. وفي المرّة الثالثة التف  
الحبل بأنشوطته حول الحجر البارز..  
جذبه ليتأكد من أنّه سيتحمل ثقله..



ثم بدأ يتسلق..

كان يرتجف كورقة.. ودموع الخوف تبلل  
عينيه.. لكنه كان يعرف أن عليه ألا يبقى  
بهذا النفق لحظة أخرى..

فلم يمنعه الذعر من القيام بعمل إيجابي..  
الأوغاد.. الأندال.. حين يخرج من هنا  
سيمزقهم بيديه.. ولسوف يعرفون من هو  
(نيقوس) حقًا.. سينشب أسنانه في عنق  
(فرانجو) وينتزع حنجرته وسط هلع  
الآخرين.. وصراخهم..

وغدًا يأخذونه وسط هلع الآخرين..  
وصراخهم...

وغدًا يأخذونه إلى المخفر.. وهناك سيقف  
أمام رئيس الخفر والدم يسيل من ثغره  
ويبلل ثيابه..

ولسوف يسأله (ميكوس) العجوز عن سر  
قتله لأولئك المراهقين الأربعة.. فيقون في  
ملل:

- لقد استفزوني أيها العجوز..  
استفزوني!..

عندئذ يقهقه (ميكوس) حتى تتبدى أسنانه  
النخرة.. ويبصق.. ويقول:

- كان هذا جيدًا يا فتى.. إن أولاد الأفاعي  
هؤلاء يستحقون ما هو أكثر.. هي هي



وفى المرة الثالثة التف الحبل بأنشوطته حول الحجر  
البارز .. جذبه ليتأكد من أنه سيتحمل ثقله ..

!

ومع ضحك العجوز يضحك (نيقوس)..  
يضحك.. يضحك وهو يواصل تسلق الحبل  
إلى أعلى.. وقد عاد إلى أرض الواقع..  
ويتأمل الخطوط على الجدار التي كتبها  
أشخاص مجهولون من قبل.. ويرى  
علامات عدة..

كان قد وصل إلى مستوى السقف، ومن  
هناك يفكر في طريقة للزحف أفقيًا حتى  
يصل إلى الفتحة..

رفع جسده ليمتطي الصخرة البارزة،  
وأحاطها بفخذه كأنها صهوة حصان.. ثم  
فك الحبل من حول الصخرة.. وتهيأ لقذفه  
تجاه فتحة البئر.. حين سمع الصرخة..



تري هل تألموا..؟.. إذا لم يكونوا قد  
تألموا فلماذا صرخوا؟  
من قصة (رأس ميدوسا)..  
الكتيب السادس



في اللحظة التالية أظلمت الفتحة..  
لم يعد يرى ضوء القمر الملتمع من  
خلالها..  
وأيقن أن شيئاً ما يسد الفتحة من أعلى..  
وفي اللحظة التالية لذلك، سمع خواراً  
وحشياً..

واستطاع أن يتبين شيئاً ما يُلقى من  
أعلى.. شيئاً ثقيلاً هوى كالحجر ليصطدم  
بالأرض..

ثم شيئاً آخر.. أمّا الشيء الثالث فكان  
يصدر أنيناً متوسلاً..

وسرعان ما هوى إلى أرض الحفرة..  
وهمدت حركته..

لقد انطفأت الشمعة حين هوى فوقها  
الجسد الأول..

بعد هذا هوى جسم رابع ليلحق بالأجسام  
السابقة..

عجز (نيقوس) عن فهم ما يحدث..  
لكن غريزته - الشبيهة بغريزة القطط -  
قالت له ألا يصدر صوتاً.. وأن يظل حيث  
هو دون حراك..

ثم أحسّ أن جسمًا هائلًا يتسلق داخلًا إلى  
الحفرة.. أتيا من الخارج وكان الظلام  
دامسًا لكنّ (نيقوس) أدرك أنّ هذا الشيء  
يفوق كل كوابيسه فظاعة..

وتصلب جسده والتصق بالجدار أكثر،  
وحبس أنفاسه..

وأدرك أنّ هذا الشيء ينحدر ببطء من  
الفتحة إلى الجدار المجاور. بخفة وسلاسة  
ودون مراعاة لقواعد الجاذبية.. كأنه  
عنكبوت ضخمة..

عنكبوت؟

لا.. فهذا الشيء يملك يدين وقدمين  
كالإنسان.. لكنّ قامته فارعة تقارب الأربعة  
أمتار، ورأسه عملاق لا يمت بصلة  
لرءوس البشر..

وفيما بعد وصفه (نيقوس) بأنه أقرب إلى  
رعوس الماشية!

والتمتع ضوء القمر ليرى الصبي الأجسام  
الملقاة على أرض القبو..

عندئذٍ أدرك أنها أجساد المراهقين الأربعة  
الذين رموه هاهنا..

وقد بدا من أوضاع رقابهم، ومن انثناء  
أطرافهم أنهم لم يعودوا يمتون بصلة  
لعالمنا..

إن هذا الشيء الذي قتلهم يهبط الجدار  
الآن على بعد أمتار منه.. مصدرًا خوارًا  
ولهاثًا مريعين...!

ودس (نيقوس) يده في فمه، وعض عليها  
بقوة كي يمنع الصرخة التي تريد أن



تخرج.. وأحس بدم ساخن يسيل على ذقنه  
من جراء العضة... لكنه لم يشعر ألماً..  
هوذا الشيء يهبط إلى القاع..

وفي ضوء القمر الخافت البارد، رآه  
(نيقوس) يكوم الجثث الأربع فوق ذراعيه  
- جثتين على كل ذراع - ثم يمشي متثاقلاً  
عبر النفق وهو يصدر زئيراً مريعاً..

وبعد لحظات تلاشي الشيء.. وخبث  
الضوضاء، وعاد الظلام..

كان هذا أكثر مما يستطيع الصبي أن  
يحتمله.

وبيد مرتجفة قذف الحبل نحو الفتحة..  
التفت الأنشطة حول طرف صخرة  
يبرز من جدارها.. وباليَد الأخرى أحكم

ربط الحبل حول الصخرة التي يجلس  
عليها...

قلبه يوشك أن يتوقف ذعرًا..  
لكنه لن يفقد الوعي.. ليس هنا..  
مد يده وتشبث بالحبل.. ودعا الله أن  
يكون الحبل متماسكًا.. فهو لا يريد أن يسقط  
متدليًا في هذا الفضاء الكريه..  
راح يزحف كدودة فوق الحبل.. ممسكًا  
ببيديه وساقيه..

وأخيرًا دنا من الفتحة.. لمسها بأنامله..  
فكور جسده ليخرج منها..  
وفي اللحظة التالية كان في العراء.. يشم  
هواء الليل الذي عطره القمر.. ويتنفس  
الصعداء..

لكنه لم ينتظر أكثر...

سارع بالركض مبتعدًا عن هذا المكان  
الرهيب..



فرغ الصبي من سرد القصة بالتفصيل  
على مسمعي، ومسمع العمدة، ورجل  
الشرطة.. ثم راح يرتجف ولا ألومه على  
ذلك لحظة..

قلت وأنا أربت على كتفه:  
- لا عليك يا بني.. أنت في أمان الآن..  
سألني العمدة عن رأيي فيما حدث..  
فقلت:

- الأمر واضح.. لقد رأى الصبي  
(المينوتور).. كان الغلمان ينتظرون بجوار

الحفرة حين فاجأهم الوحش من الخلف..  
ولابد أنه غادر الحفرة قبل وصولهم.. كان  
يبحث عن فريسة فلم يجد.. وحين عاد إلى  
الحفرة وجدهم ينتظرون.. فقتلهم.. ثم ألقى  
بجثثهم إلى البئر.. ريثما يهبط هو لأسفل  
ويحملهم إلى حيث يفترسهم...  
- يا للهول!

- نعم.. لقد دفع هؤلاء الفتية ثمن قسوتهم  
غاليًا..

- ونجا (نيقوس) بمعجزة..  
تساءل رئيس الخفر وهو يرسم الصليب:  
- ماذا عسانا فاعلون؟.. هل نهبط إلى  
التيه لنفتشه حاملين مشاعلنا؟  
قلت في شروء:

- لا جدوى من ذلك.. فالفتية هلكوا دون شك.. ثم إن الهبوط إلى التيه انتحار حقيقي...

- إذن ماذا ترى؟..

- أرى أن نسد هذه الحفرة أيضاً..

- ولو نبشها عابث آخر؟

- يجب أن تعرف كل (كنسوس) بالقصة..

يجب أن يعرف كل القوم أن هناك وحشاً مريعاً يعيش تحت أقدامهم.. وأن ما يفصله عنا هو طبقة الأرض التي نقف فوقها.. إن الأمر لا يحتمل المزاح..

نهض رئيس الخفر.. ووضع بندقيته على كتفه:

- سوف آخذ الرجال إلى هناك حالاً..

ونسد الحفرة على ضوء المشاعل..

قال العمدة راضيًا:  
- حقًا تقول.. إن هؤلاء الرجال ثائرون  
إلى حد أنه لابد من إنهاكهم بعمل ما  
يستنزف طاقتهم العدوانية..  
وقد كان...



مسرح الأحداث كان رهيبًا..  
ولقد وجد الرجال مطواة (فرانجوليس)  
الصدئة.. وأعقاب سجائر عديدة..  
وحذاعين.. وبقع دم..  
يبدو أن الصبية كانوا جالسين على بعد  
عشرة أمتار من الحفرة، يدخلون

ويتمازحون.. حين وجدوا (المينوتور)  
يخرج لهم من وراء الأشجار..  
ولابد أنهم لم يجدوا الوقت الكافي للفرار..  
وعلى ضوء المشاعل راح الرجال  
يمارسون مهمتهم الحزينة.. يسدون الحفرة  
كأنما يهيلون التراب فوق قبر الفتیان  
الأربعة..

وحين انتهوا رحلت المجموعة الحزينة  
في صمت..  
بقعة من نور تغيب تدريجيًا في قلب  
الظلام...



- عمت مساء يا (هيلين)..  
-

- مساء..!

قالتها، ودستت إبرة الحياكة في أذنها  
تزيل حكة ما..

جلست على الأريكة العتيقة بجوار  
الفراش، ورحت شارد الذهن أجتر أحداث  
النهار الرهيب، والأمسية الأكثر رهبة..  
- أمازالت الطفلة نائمة؟

قالت في فتور دون أن تنظر إليّ:

- إنها الثالثة بعد منتصف الليل..

وابتسمت في مرارة.. واردفت:

- إنك تزيد ساعات غيابك ساعة كل يوم..

وهأنذا قد صرت جزءاً من هذا المقعد..

لم أرد أن أجادل أكثر.. فأشعلت غليوني  
وأرحت ساقي على مقعد خشبي صغير..  
بعد دقائق قلت:



- صدقيني.. إنني لا ألهو ولا أعاقر  
الشراب في الحانة.. إن العمل يمتصني إلى  
حد لا يصدّق.. وهذه الأيام بالذات توجد...

- ومنذ متى لم يمتصك العمل؟!  
صاحت كمن توشك على البكاء.. وأردفت  
وهي تلقي ما تحوكة على الفراش عند  
قدمي الطفلة الغافية:

- منذ تزوجنا وأنا لا أشكل في حياتك  
سوى ركن صغير جدًا.. تتذكره كلما عدت  
لدارك منهكًا.. أنت تعود إليّ لمجرد أنك لا  
تجد مكانًا آخر تقضي فيه الليل.. سيان  
عندك غسلت قمصانك أم لم أغسلها..  
طهوت أو لم أطه.. نمت أو صحوت..  
واكتست عيناها بغشاوة رقيقة من دموع:

- في البدء كففت عن منحي ما أريد من  
حب.. والآن كففت عن طلب أي شيء  
مني.. ولو كان غسيل جورب متسخ..،  
حينما تزوجتك يا (ديمتريوس) - برغم  
فارق السن - ظننت أنني سأجد فيك حنان  
الآباء وحكمة الفلاسفة وذكاء العلماء.. أمّا  
اليوم...

وابتلعت ريقها:

-.. فلا أجد فيك أي شيء على الإطلاق..  
ودون كلمة أخرى نهضت مسرعة،  
وفتحت باب الغرفة.. خارجة إلى  
الممشى.. هرعت لتقف عند النافذة التي في  
نهايته ترمق الليل المظلم الصامت  
بالخارج..

جلست أنا أرمق (مليسا) الغافية  
كالملائكة..

لماذا يموت الحب يا ملاكي الصغير؟  
لماذا تخبو تلك الجمرة المقدسة لتصير  
رمادًا برغم لهيبها الذي أحرقنا يومًا؟ متى  
وكيف كفت عن الاهتمام بـ (هيلين)؟

رجل في سني وقبحي ووهن صحتي كان  
- لابد - أسعد الناس بزوجة شابة حسناء  
مطبعة كهذه.. لكني لست سعيدًا ولا  
حزينًا.. بل أنا لا ألاحظ وجودها عني  
الإطلاق كما قالت هي...

وكما قالت هي.. يبدأ فقدان الحب بأن  
نكف عن العطاء.. بعدها نكف عن الأخذ.  
لقد وهبت حياتي كلها لعملتي فلم أعد أرى  
سواه...

والكارثة هي أنني لم أحقق شيئاً على الإطلاق..

وحتى (اللابيرنث) الذي ظفرت به أسفر عن كارثة.. كارثة يستحيل الإفادة منها بحال...

حتى إنني...

إنها تصرخ...

(هيلين) تصرخ صرخة مروعة كأنما هناك من ينتزع أحشاءها..

هرعت كالمسوع خارجاً من الغرفة لأنقذها..

فإذا بها تصطدم بي، وهي عائدة إلى الغرفة بدورها..

وارتمت في أحضاني تنتحب. وترتجف.. وهي في حالة هستيرية غير مسبوقة..

ومن فمها تخرج أشلاء كلمات..  
اخيرا افهم كلماتها:  
- إنه.. خلف النافذة!  
- من؟.. من هو؟؟  
- لا.. لا أدري..  
ثم ضاقت عيناها.. وهمست.  
- كان يرمقني من وراء الزجاج.. رأس  
كرأس ثور!

.....



## ٩- يجب أن ننزل التيه..

---

- مستحيل يا (هيلين).. يوجد شيء واحد يحمل هذا الوصف، وهو الآن حبيس التيه تحت الأرض..

- لكني أقسم إنني رأيته..

وكان خمسة من ساكني الخان قد التفوا حولنا..، ورأيت (باسيلوس) بفانلته الداخلية يقف ممسكًا ببندقية.. و(ديم تريوس) بمنامة مزركشة وقد بدت عليه علامات النعاس.. ثم ظهر صاحب الخان (ياني) حاملاً ببندقية أخرى:

- ألن تنتهي هذه الليلة اللعينة؟



هرعت كالمسوع خارجاً من الغرفة لأنقذها ..

قلت له وأنا أطوق زوجتي بذراعي:  
- إنها تظن أنها رأت (المينوتور) يرمقها  
من وراء الزجاج..  
- مستحيل.. إنه سجين الآن!  
- هذا ما قلته..  
- وهل زوجتك تعرف القصة؟  
استشار نحو الواقفين، وهتف كأنه يقود  
أغنام ضالة إلى راعيها:  
- هيا يا (جدعان).. لا داعي للتوتر.. لقد  
رأت السيدة كابوسًا..  
وتفرق الجمع..  
كدت أعود مع (هيلين) إلى غرفتنا.. لكنّ  
الرجل ناداني، فدنوت منه.. وإذا به يقرب  
فمه من أذني هامسًا:



- أترانا أغلقنا الفتحة بينما الوحش  
خارجها؟!!



كان تساؤلًا في محله..  
وفي الصباح حين عرفت أن أحد رجال  
الخفر قد اختفى. تاركًا بندقيته مهشمة إلى  
نصفين.. عندئذٍ فهمت مدى أهمية السؤال..  
وعرفنا أن (المينوتور) حر طليق في  
(كنسوس).. وعاجز عن العودة إلى التيه..  
ولقد قضينا النهار كله نمشط المنطقة دون  
جدوى.. بحثنا في المرتفعات.. في مخزن  
الغلال.. والطاحونة.. والكنيسة المهجورة..  
لكنّ سدى...

وفي النهاية عدنا إلى موقع الحفر الأول..  
وكان ذلك عصرًا. فعرفنا أنّ هناك من  
حفر المكان مستعملًا الصخور الحادة  
ومخالبه.. وجرف طبقات الغبار  
والأسمنت.. ثم انتزع الحديد الذي غطوا به  
الفتحة...

لم نحتج لذكاء كثير كي نعرف من  
الفاعل..

لقد عاد الوحش إلى بيته من جديد...  
وأمام الفتحة تساءل (ستافروس) في  
حيرة:

- هل سنسد هذه أيضًا؟ إن هذا الوحش  
يلعب الشطرنج معنا.

قال صاحب الخان وهو ينحنى ليتفحص  
فتحة البئر:

- ربما لو سددها.. يتضح لنا أنه غادرها منذ دقائق...!

قال (باسيلوس) للمرة الأولى بعدما استعاد ثقته بنفسه:

- ولو لم نسدها.. نكون قد تركنا باب الجحيم مواربًا..

- إذن الحل هو نزول التيه!  
والتقت عدة عيون متسائلة فوق وجه الرجل.. حتى لم يعد فوق وجهة مكان لعين أخرى...

وتساءل (ستافروس) في حيرة:

- لكنّ هذا انتحار حقيقي..

قلت أنا وقد راقبت لي الفكرة:

- بالعكس.. أرى أنّ هذا هو الحل الأمثل بدلاً من لعب لعبة الحُفر هذه مع

(المينوتور)..

ثم إنني رفعت يدي صائحًا:  
- سأكون أنا الأول يا رفاق.. ولسوف  
أهبط إلى الوحش في عقر داره.. لكني لن  
أستطيع شيئًا وحدي..

رفع صاحب الخان يده هو الآخر:  
-- أنا معك.. فلو أنّ هذا الشيء قتل  
(إيزيبا)...

- لا بأس.. وأنت يا (ستافروس)؟  
نظر لي (ستافروس) في تراخ.. ثم هزّ  
رأسه موافقًا..

- وماذا عنك يا (باسيلوس)؟  
بدا الشرود للحظة على وجه (باسيلوس)  
القسيم.. ونظر لي ثم إلى (يائي) صاحب  
الحانة.. وغمغم بعد هنيهة:

- لا.. لن آتي معكم!

نظر الرجال إليه في ازدياء.. ودمدم  
أحدهم شيئاً ما عن الرأس الجميل الخالي  
من الشجاعة..، وإن كنت أختلف معهم في  
هذا.. فالشعور العام الجارف هنا هو  
النزول إلى التيه.. وليس من الشجاعة في  
هذه اللحظة أن تقول (سأنزل).. بل  
الشجاعة أن تقول (لن أنزل)...

إن احتمالات فتك (المينوتور) بك تحتل  
المناقشة..

أما احتمالات فتك الرجال الثائرين بك  
فقوية جداً...

قلت محاولاً تلطيف الجو:

- لا بأس.. لن يكون هناك أي إرغام...

ثم ناظرًا نحو حشد الرجال:

- هل من آخر؟

رفع (ميكوس) العجوز حارس الدرك  
يده.. وسعل.. ثم قال:

- وأنا معكم..!

- أنت يا (ميكوس)؟ إن لك شأنًا غير  
هذا.. ولا أخال صحتك تتحمل أن...

قال وهو يلف لفافة تبغ ويعلق طرفها  
بلسانه ليلصقه:

- في سنى هذه يسهل أن يجدوني ميتًا في  
الصباح.. إما بسبب نوبة قلبية أو أزمة  
ربوية أو نزف في الدماغ.. لن يكون هناك  
فارق كبير لو وجدوني ميتًا بسبب  
(المينوتور)..

عدت أرمق الرجال باحثًا عن متطوع  
جديد...

لكنهم تحاشوا نظراتي..  
وعرفت أن فورة الحماس قد انتهت،  
وعاد الذعر المتوجس.. وأن كل واحد  
منهم يتمنى لو لم أنظر إليه متسائلاً.. من  
ثم وفرت عليهم هذا العناء، وقلت في حزم:  
- هذا يكفي يا رجال.. سنكون أربعة..  
وأحسب هذا كافياً.

ثم نظرت نحو (ستافروس) وطلبت منه  
أن يعد لنا:

- ١- عدة كشافات بحالة جيدة.
- ٢- بعض أطعمة ومشروبات.
- ٣- بنادق لنا جميعاً، وبعض أصابع  
الديناميت.
- ٤- طبشور وحبال وبوصلة.

ثم فارقتهم لأودع زوجتي.. على أن نبداً  
التحرك خلال ربع إلى نصف ساعة...  
وفي غرفتي شرعت أعد حقيبتى..  
ورفعت (ميليسا) إلى ذراعى، ولثمت خدها  
الشبيه بثمرتي خوخ ناضجتين..  
هتفت (هيلين) وهي ترقب ما يحدث:  
- إذن أنت...؟

- بالتأكيد.. أنا ذاهب لقتل (المينوتور)  
ومعي رجال أشداء..  
- أي رجال أشداء؟  
- أنا.. و(ستافروس) و(يانى) و(ميكوس)  
العجوز..!

- يا لهم من أبطال!.. أنت هزيل  
كسحلية.. و(ستافروس) متراخ كبقرة..



و(يائي) بدين كخنزير.. و(ميكوس)..  
هه؟.. ماذا أقول عنه؟.. سلحفاة!

قلت وأنا أضع الطفلة على الفراش:

- (هيلين).. لا تعدي الأمور.. أرجوك..

- أنا أحبك يا (ديمتريوس).. ولو فقدتك..

أخشى أن أكرهك يومًا لهذا..

أخيرًا أسمع هذا الاعتراف الرقيق الذي  
منعها الكبرياء من الإدلاء به طيلة عامين  
أو أكثر.. ولئن كان (المينوتور) سينهي  
حياتي، فإنه على الأقل قد أعادها لي أولًا..  
قربت وجهها من وجهي.. وكانت دمعتان  
على مقلتيها..

وهنا دق الباب في كياسة..

ذهبت لأفتحه، فوجدت (باسيلوس) واقفًا  
في الردهة متحاشيًا نظراتي.. وفي فتور

قال دون تعبير على وجهه:  
- أنا آت معكم يا بروفيسور...



قلت له في مودة وأنا أربت على ظهره:  
- لا بأس يا بني.. كنت أعرف..  
قال بنفس اللهجة الصارمة:  
- لم أرد أن أنزل التيه، لأجد الوغد  
صاحب الخان معي في الظلام.. إن رأسه  
مليء بالشكوك ولا أدري ما قد يفعله إذا ما  
انفرد بي..  
ثم - بنفس التعبير - غمغم:  
- أعتقد أن ابنته كانت ذاهبة لتنتحر.. لكنّ  
(المينوتور) سبقها..

- إذن أنت ترهب أباهها لا الوحش..

- بالتأكيد.

- حسن.. أسرع بإعداد حقيبة.. حقيبة

ظهر صغيرة الحجم، وخذ بندقية من  
(ستافروس) لأننا سنتحرك حالاً..

وللمرة الأخيرة اعتصرت كف زوجتي  
في يدي، واستدرت حاملاً الحقيبة على  
ظهري.. واتجهت إلى الباب..

وبدأت الحملة، ويا لها من شيء مثير  
للشفقة..!



الآن ننزل الحفرة حاملين كل ما أخبرتك  
به..

سعال (ميكوس) العجوز.. واصطكاك  
أسنان (ستافروس).. ولهات (يائي)  
البدين.. ورجفة ساقي أنا..

كل هذا يقول لي إن حملتنا لن تكون  
موفقة إلى هذا الحد.

ووصلنا إلى القاع.. فأمرت الرجل الذي  
يقف يرقبنا أن يرفع الحبل. ويوصد الفتحة  
جيداً..

تساءل (ستافروس) في هلع:

- ولماذا يا بروفيسور؟

- لا أريد لهذا الشيء أن يغادر التيه بينما

نحن نبحث عنه بالداخل..

- قد نختنق..

- لا أظن.. إن (المينوتور) وحش. لكنه

يحتاج الهواء مثلنا.. وأظن هذا التيه يحوي

كمية هائلة من الهواء..  
ورأينا الفتحة توصل فوقنا..  
وشعرنا بأن التراب الذي يهيله الرجل..  
إنما هو ينهال فوق قبورنا ويخنق  
أرواحنا.. الظلام يغمر كل شيء..  
وأضاء (باسيلوس) كشافة الكهربي  
المتصل ببطارية سيارة. ليعطيه حياة  
أطول.. وراح يمسح الجدران بها..  
و عند أقدامنا كانت العظام مكدسة..  
عظام ضحايا (المينوتور) من شباب  
(أثينا).. أو عظام حمقى مثلنا ظنوا أنهم  
على قتله قادرون...  
انحنى (ستافروس) ليلتقط عظمة ساعد  
من على الأرض.. وقال:  
- هذه العظمة جديدة..

- ماذا تعني؟ - قلت في سأم - إنها من عظام الـ.. الفتاة..

أشار إلى موضع لم يتم التحام فيه من العظمة.. و غمغم:

- إنها عظمة ذكر لم يبلغ الثامنة عشرة بعد.. أو أنثى لم تبلغ السادسة عشرة بعد.. ها هو ذا موضع الالتحام لم يتكلس بعد.. إنها عظمة واحد من المراهقين الذين مكروا بـ (نيقوس) أمس..!

- هذا ليس بهيجًا على الإطلاق..

ثم نظرت إلى الرجال الأربعة الذين أكسبهم ضوء الكشف، سمًا شيطانيًا.. أنت تعرف تأثير هذا الضوء القادم من أسفل.. وقلت في كياسة:

- من سيكون قائدنا؟ لابد لنا من قائد..

- هل هذا سؤال؟ أنت طبعًا..  
- إذن أطلبكم بطاعة عمياء.. ليس الوقت  
وقت إظهار رجاحة عقلكم، ولا إثبات  
غبائي.. ما أقول سينفذ!  
- لك هذا...

ناولت كلاً منهم كشافًا، وبندقية، وقطعة  
طبشور.. سيقوم كل منهم باستكشاف  
مجموعة ممرات.. ويده على زناد البندقية  
بينما الكشف تحت إبطه..

وكلما استكشف أحدهم ممرًا رسم أسهمًا  
تدله على الاتجاه الصائب.. لا نريد أن  
يموت أحد لمجرد أنه ضل طريقه.. وعلى  
من يجد شيئًا مريبًا، أو يوشك كشفه على  
الانطفاء، أو تنفذ قطعة الطبشور منه.. أن

يعود أدراجہ إلى هذه النقطة مسترشداً  
بأسهمہ...

تساءل (باسيلوس) واجماً:  
- وكيف نخرج من البئر بعد انتهاء كل  
هذا؟

- إن معي مسامير ومطربة.. يمكننا تسلق  
الجدار كما نتسلق جبلاً.. ونفتح الغطاء  
دون جهد..

ثم أشرت لهم:

- (ياني).. ستأخذ النفق الأيمن.. وأنا  
الأيسر.. (ستافروس) يأخذ امتداد النفق إلى  
الخلف.. ومعه يمضي (باسيلوس)  
و(ميكوس) على أن ينفصلا إذا وجدا  
تفرعاً.. ولسوف نلتقي هاهنا بعد ست  
ساعات سواء وجدنا الوحش أو لم نجده..



في ضيق غمغم (باسيلوس):  
- لا أحب هذا.. إن اتحادنا لقوة.. أمّا الآن  
فسيفتك الوحش بكل منا منفصلاً...

بحزم صرخت في وجهه:  
- أمّا الآن - وقد قبلت قيادتي - فقد أغلق  
باب المناقشة.. نفذ..!

وفي تردد بدا الرجال مسيرتهم  
المتوجسة..

لم يكن قراري عن ديكتاتورية.. بل أردت  
أولاً أن أوفر الوقت اللازم لاستكشاف هذا  
التيه.. ثانياً: أردت أن أقلل عدد الموتى لأن  
الوحش سينقض فجأة.. وفي الغالب لن  
نستوعب وجوده قبل أن يفتك بثلاثة منا..  
ومشينا مجتمعين يجعل الأمر بالنسبة له  
أقرب إلى قدم تهوى فوق سرب نمل.. أمّا

تفرقنا فيجعله يفتك بواحد.. ثم يبحث عن  
الآخرين الذين قد يكونون سمعوا صراخاً  
أو جلبه تجعلهم أكثر تيقظاً...



ملحوظة من د. (رفعت إسماعيل):  
إنه الفجر.. وأنا لم أنم بعد، إذ استغرقت  
في ترجمة هذه الرسالة بخطها المجهرى  
اللعين.. لذا أترككم الآن لأنام.. وسأعود  
لأستكمل القصة في الغد..  
فإلى لقاء..



## ١٠ - مواجهة في (اللابيرنث)...

---

صباح الخير..  
(رفعت إسماعيل) قد صحا من النوم،  
وأعد لنفسه بعض البيض المسلوق وكوب  
شاي.. وجلس يلتهم كل هذا..  
إنها الواحدة ظهرًا.. أعرف هذا.. لأنني  
سهرت كثيرًا - كعاشق - ليلة أمس مع الأخ  
(كوبرانوس) وقبوه..  
على كل حال.. في سن المعاش لا يعود  
النوم حتى الظهر جريمة يعاقب عليها

القانون.. أو تؤدي إلى رقتك وجوع أطفالك  
وطلاقك..

دعونا الآن نستكمل هذه الأحداث..  
أين كنت؟ ما هي آخر عبارة ترجمتها؟  
(هذه العظمة جديدة)؟  
لا.. لا.. (تجعلهم أكثر تيقظًا..؟) هذه  
هي.. إذن فلنواصل السرد..



رسمت سهمًا بالطبشور على الجدار.. ثم  
بدأت أمشي عبر الممر الأيسر.. بقعة من  
الضوء تدنس حرمة ظلمات دامت قرونا..  
من جديد أشعر بأن الجدران تعاديني،  
وأنها تحاول فهم من أكون..

بينما وقع خطواتي على الأرض غير  
المرحبة يصارحني كم أنا وحيد...  
وكم أنا في خطر..

أرسم سهمًا آخر.. ثم أخذ انحناءة يمى..  
لم أحاول يومًا أن أتخيل شعور الخرزة  
البيضاء في المتاهة التي يلهو بها  
الأطفال.. إن الأمر يبدو سهلًا حين ترقبه  
من أعلى.. عندئذ تفهم مدى وضوح الأمر،  
ومدى تخبط الخرزة وقراراتها الخاطئة  
على الدوام...

ما أمس حاجتي إلى أن أعلو.. أعلو لأرى  
هذه المتاهة من المنظور الذي يسميه  
المهندسون (عين الطائر)..

لو ارتفعت أكثر لرأيت المتاهة أوضح..  
ولو ارتفعت أكثر لرأيت الكرة الأرضية

أوضح..

كأن العلو يرتبط بالحكمة.. ويرتبط  
بوضوح الرؤية.. لهذا لن يدهشني لو أنّ  
الملائكة تعرف عنا كل شيء.. ونبدو لها -  
نحن البشر - كائنات متخبطة تحبو هلعي  
في متاهة.. عاجزة عن رؤية الطريق  
السديد...

تبّاً لشروود ذهني!.. ليس الوقت مناسباً  
بحال..

علامة أخرى بالطبشور...

لأبد أنني قد توغلت كثيراً لأنني أمشي  
منذ ربع ساعة..



هل مشيت قدما (ثيذيوس) فوق هذه  
الأحجار يوماً؟

لا أدري.. لكنّ هذه الأحجار لامست  
بالتأكيد قدمي مئات من فتيان وفتيات  
(أثينا).. أقدام بضعة خائفة.. وأقدام عضلية  
متوجسة داست هنا قبلي..

وكلهم رأى (المينوتور) في اللحظات  
الآخيرة..

أنا أختلف عنهم جميعاً إذ أحمل قطعة  
(طبشور) وكشافاً وبندقية..



ولكن هل يمكن لوحش أن يعيش ثلاثين  
قرناً؟

علامة أخرى بالطبشور...

لم لا؟.. إننا لم نر وحوش كثيرة تجمع ما  
بين الثور والإنسان.. ولا يوجد ما يمنع من  
اجتماع غرابة المظهر مع غرابة دورة  
الحياة.. ولا مانع من أن تصحب التشريح  
الغريب وظائف أعضاء أغرب.. فإذا كانت  
بعض السلاحف تعيش قرونًا.. وبعض  
الذباب يعيش يومًا.. فأى شيء نعرفه؟..  
وما هي القاعدة؟

إننا نجهل كل شيء عن أي شيء..



ولكن.. ماذا يفعل الآخرون الآن؟





أرى.. أرى بعين الخيال (باسيلوس) يتفقد  
ممراته.. وقد فرد قامته ليوحي لنفسه  
بالثقة.. ولسان حاله يقول: (هذا المينوتور  
لا يليق بي)..

وأراه يشعل لفافة تبغ.. ثم ينظر لساعته..  
فيما بعد عرفت أن (يائي) صاحب الخان  
اجتاز عدة ممرات.. راسمًا علامة  
الطبشور إياها..

وفجأة وجد نفسه في ممر.. يقف في  
منتصفه شخص منحن يشعل لفافة تبغ..  
وعرف أنه (باسيلوس).. لقد تلاقت  
الممرات!

وتقلصت قبضته على البندقية...

تذكر (إيزيبيا).. رآها تسير في جناح  
الظلام دامعة العينين كسيرة الفؤاد، بعد ما  
تسلى أحد الأوغاد بقلبها..

القلب الذي لم يمنح لأحد من قبل.. أخذه  
(باسيلوس) ثم ألقاه كما يُلقى بعود الثقاب  
الآن..

وهناك سارت.. وكان (المينوتور)  
ينتظرها...

وفي هدوء رفع فوهة البندقية وصوبها  
نحو مؤخرة رأس الشيطان القادم من  
(أثينا).. لا شهود هنالك..

ولئن هلك كلاهما فلن يعرف أحد بما  
حدث.. ولئن عاش (يانّي) فقد قضى التيه  
أو المينوتور على (الأثيني) الوسيم..

ضغطة واحدة من أجل (إيزيبيا).. واحدة فقط..



(ستافروس) كان يدندن لحناً حزيناً...  
ولقد تساءل مراراً عن جدوى كل هذا..  
عن جدوى الحياة أصلاً.. لقد ماتت  
(إيزيبيا) ولن يجديها الانتقام من المينوتور  
الأصلي الذي افترسها.. ولا من المينوتور  
الآدمي الذي حطم أحلامها..  
ربما واحد فقط يستحق الموت هو  
(ستافروس).. الذي لم يستطع أن يدافع عن  
حبّه..

علامة طبشور أخرى...



ارتجفت يد (يائي) على الزناد..  
وسمع (باسيلوس) يقول دون أن يدير له  
ظهره:

- هيا.. لم لا تفعل؟!  
في هدوء أنزل (يائي) فوهة البندقية..  
وغمغم:

- لا أستطيع!

- ولم لا؟

- لا أدري.. وددت لو قتلتك ألف مرة..  
لكنى لا أستطيع..

استدار (باسيلوس) في بطاء، ولفافة التبغ  
تتدلى من شفتيه.. وغمغم وهو يضع  
بندقيته أرضاً:

- أنت لم تقتل رجلاً من ظهره من قبل..  
- لم أقتل أي رجل.. لا من ظهره ولا من وجهه..

- إنني...

وقبل أن يكمل عبارته؛ أحسّ الرجلان أن  
السقف ينهار فوقهما..

أما (ياني) فتذكر على الفور مغامرة  
(نيقوس).. وتذكر أن (المينوتور) يمشي  
على السقف والجدران كسحلية..  
إذن كان الشيء فوق رأسيهما طيلة  
الوقت...!

وقبل أن يفهم ما يحدث.. رأى عملاقاً  
هائلاً مغطى بالشعر يقف أمامهما..  
ارتفاعه أربعة أمتار.. ورأسه رأس ثور

غاضب.. وذراعه تكادان تتفجران من العضلات المتزاحمة..

قال (باسيلوس) شيئاً ما قبل أن يغيب رأسه بين فكي الثور العملاق..

ورأى (ياني) - غير مصدق - الوحش يطوح جسد (باسيلوس) المعلق بين فكيه، يميناً ويساراً.. ويميناً ويساراً.. حتى أحسّ (ياني) أن فقرات عنقه هو نفسه تكاد تنفصل..

وأطبقت العضلات الهائلة على الجسد،  
لكى يكف عن انتفاضة الاحتضار  
الأخيرة..

ولم ينتظر (ياني) حتى يعرف نهاية  
المشهد.. إذ حمل الكشاف في يده وراح  
يركض عبر الممرات، وقلبه يكاد يثب إلى  
فمه..

الفرار..... الفرار!.. كرشه العملاق  
يترجرج.. بندقيته هوت أرضاً.. يركض  
عبر ممرات لم يضع علامة الطباشير  
عليها...

وكان في هذا قرار إعدامه.. حتى لو فر  
من الوحش..



وقبل أن يفهم ما يحدث .. رأى عملاقاً هائلاً مغطى  
بالشعر يقف أمامهما ..





بعد ربع ساعة وجد (ستافروس) جثة  
(ميكوس) العجوز.. لقد هشمها الوحش  
بضربها في انجدار مرارًا..

وكانت هناك طلقتان ثقتا الجدار..  
وبندقية مهشمة.. وكشاف ديس بقدمين لا  
تعرفان التعقل..

وعلى الأرض كانت هناك قطرات دم..  
دم أسود تتجه إلى نهاية الممر..

إذن أطلق العجوز بندقيته، وجرح  
الوحش..

تأكد (ستافروس) من حشو سلاحه.. وأخذ  
شهيقًا عميقًا ثم راح يمشي بحذر مقتفيًا  
قطرات الدم..

كان هناك ممر جانبي في نهاية هذا  
الممر..

وتصلب جسده إذ أدرك أنه يسمع صوت  
خطوات!..!

تراه أحدهم؟.. لا.. إنه لا يرى ضوءاً..  
فما الشيء الذي يقدر على السير في هذا  
الظلام الثقيل؟

صوت الخطوات يدنو أكثر فأكثر من  
الممر الجانبي..

ركع على ركبته واحكم التصويب.. يعلم  
الله وحده كيف سيبدو الشيء.. لكنه  
سيصوب على العينين لو كانت له عينا..  
يعلم الله وحده أي كابوس سيملأ هذا  
الفراغ بعد ثوان...!

إصبعه يتقلص على الزناد..

الخطوات تدنو أكثر... و...  
في اللحظة التالية وجدت أمامي  
(ستافروس) يصبوب البندقية نحوي..  
وكنت أنا مستعدًا لضغط الزناد..  
وتنفس كلانا الصعداء..  
- حسبتك هو!  
- وأنا كذلك..  
- لماذا تمشي في الظلام؟  
- انقطع سلك من سلوك الكشاف. ولم  
أستطع ربطه..  
- إذن من حسن حظي أنني هنا.. سنسير  
معًا من الآن فصاعدًا..  
ثم إنه أشار إلى الأرض حيث قطرات  
الدم.. وقال:

- هلك (ميكوس).. ولكنّه جرح الوحش..  
وإن أثره لو اوضح..  
- إذن هيا بنا...

لم أعلق على موت العجوز..  
فما دمنا لسنا في نزهة. فالموقف لا  
يحتمل ترف الرثاء لأحد..

فيما بعد يمكننا أن نلقى الزهور والخطب  
على قبور قتلانا.. إنها حرب.. وفي  
الحرب لا تعرف ما إذا كنت حيًّا أم ميتًا إلا  
حين يبدأ رجال الخدمات الطبية في حصر  
الجثث.. أما الآن فما زال الأمل قائمًا في  
أن يرثينا الناس غدًا..

مضينا نقتفى آثار الدم، غير ناسين وضع  
علامات الطبشور هنا وهناك..

وأخيرا كان هناك ممر جانبي سمعنا  
صوت الخوار قادمًا منه.. نحن لا نطار  
(المينوتور).. هو الذي يطاردنا..  
والآن عليك يا (ستافروس) أن تنتهياً  
لإطلاق الرصاص.. وأنا معك في اللحظة  
ذاتها..

ستطلق الرصاص على القلب.. وأنا على  
العينين.. بعد هذا تطلق الرصاص على  
البطن.. وأنا على العنق.. وبعد هذا..  
لا داعي للمزيد من التخطيط.. ولنرتجل  
وقت اللزوم..

أرجوك ارسم بعض الرعب أو التوتر  
على وجهك..

سئمت هذا التعبير الكسول المترaxي  
المنفصل عن العالم..

الخطوات تقترب.. تقترب.. والكشاف  
مسلط على الممر..

في الثانية التالية شعرت بشيء مريع  
يرفعني في الهواء. ووجدت نفسي أطيح  
لأرتطم بالجدار ..

لقد جاء من الخلف.. كيف؟

إنه الصدى اللعين جعل صوت خطواته  
يبدو كأنما من أمامنا.. أضف لذلك أن  
تركيزنا وكشافنا كانا مسلطين على الاتجاه  
الخطأ..

إن هذا الوغد لا يضل طريقه أبدًا..

وفي هلع رأيت وجه الثور المرعب  
الخالي من التعبير.. ثور له أنياب حادة  
كالخناجر.. والجسد العملاق المكسو

بالشعر يقف على قدمين مخلبيتين قويتين  
ويزأر.. وكان قادمًا نحوي..  
وبطرف عيني رأيت (ستافروس) يهرع  
على ركبتيه ليأخذ من حقيبته شيئًا ما..  
لماذا لا تطلق الرصاص يا أحمق!.. لماذا  
لا...؟

وفجأة رأيتَه يصرخ في الوحش.. ثم  
يهرع ليسكب فوقه سائلًا ما في (جركن)  
بلاستيكي كبير.. قذفه في وجهه، فأصدر  
الوحش زئيرًا أو خوارًا - لا أدري حقًا -  
واستدار له...

- بروفيسور... علبة ثقابك... بنزين!  
فهمت على الفور مرماه..  
لم أكن أعرف أنه يحمل بنزينًا معه..  
وعلى الفور مددت يدي لأخرج علبة

الثقاب، وحشرت عودين فيها ثم حشرت  
الثالث بينهما وأشعلت الرابع.. تلك الطريقة  
التي كنا نلهو بها في طفولتنا. ويشد الكبار  
أذاننا لمنعنا من اللّهُو بها.. أسلوب قاذفة  
السهام المشتعلة التي تحدث الكوارث...

أشعلت العود الثالث المحشور. وصوبته  
نحو ظهر (المينوتور).. فانطلق كالقذيفة  
ليضرب ظهره.. و.. فهم!..

اشتعل البنزين في ربع ثانية..

ورأيت الشيء يتلوى.. ويصدر هديرًا  
مريعًا..

وإذ دار نصف دورة رأيت ثقبين في  
جدار صدره من رصاصتي (ميكوس)...  
لحظات من الرعب.. ثم هوى أرضًا..  
وتلوى قليلاً..



وهدت حركته...

نهضت من سقطتي، وحملت حقيبتني  
وبندقيتي.. وهرعت ألحق بـ (ستافروس)..  
ورائحة الحريق تزكم أنفينا..

ورحنا نركض عبر الأنفاق مذعورين  
يقتلنا الهلع.

لكننا - برغم هذا - نشعر بلذة الخلاص..  
أخيرا توقفنا جوار أحد الجدارين التي  
رسمت عليها أسهم طبشورية ربما بيدي أو  
بيده أو بيد أحدنا..

ورحنا نلهث...

ونظرت إلى (ستافروس) وابتسمت..  
وكذا ابتسم هو..





## ١١ - أنتيكليماكس..

---

ملحوظة من د. (رفعت إسماعيل):  
يمكن ترجمة (الأنتيكليماكس) بالقمة  
المضادة أو عكس الذروة، وهي تعبير  
يصف به كتاب الدراما أن تصل الأحداث  
إلى ذروتها. وهي ذروة صالحة لانتها  
القصة تمامًا - وفجأة تأتي ذروة أخرى قد  
تضعف السياق غالبًا..

على كل حال.. المشكلة مشكلة الأخ  
(كوبرانوس) لا مشكلتي..  
وهاهوذا ينتقل إلى ما يُسمى الـ  
(أنتيكليماكس).. عندما..



وشرعنا نجد السير عبر الأنفاق ماشين  
مع أسهمنا..

ورحنا نتكلم للمرة الأولى بعد ربع ساعة  
من صمت:

- كانت فكرة جيدة أن تحضر البنزين  
معك..

- وفكرة أجود أن تقذف الثقاب بأسلوب  
المقلاع هذا..

- كان لابد من وسيلة لإشعال البنزين دون  
أن أقترّب.. وإلا صرت قطعة فحم أنا  
الآخر..

- لا بأس.. اليوم فقط أثبتنا أن (ثيذوس) لم  
يقتل (المينوتور).. لقد اضطر أهل

(كريت) إلى دفن التيه بأكمله ليتمكنوا من الحياة..

- .. وظل الوحش في حالة سبات طويلة هذه الأعوام حتى أيقظناه نحن..  
وهنا توقفت.. إذ سمعت صوت خطوات تقترب..

ونظرت نظرة ذات معنى إلى (ستافروس)..

فرايت وجهة الخامل يبتسم..  
ورأيت هالة من نور تدنو منا عبر منحني النفق..

ثم ظهر وجه (ياني) الدهني اللحيم،  
وعيناه توشكان أن تخرجا من محجريهما...

فما إن رأنا حتى صاح في هلع:

- حمدا لله!.. أنتما حيان؟

- وظافران.. ولكن أين (باسيلوس)؟

- هلك.. انتزع الوحش عنقه.. وأين

(ميكوس)؟

- تهشم ألف قطعة.. لكنه - للحق - مات

كبطل إغريقي..

وافترشنا الأرض.. ورحنا نتحدث..

ونتبادل سرد ما حدث بالتفصيل.. ولقد

هنا (ياني) على قتل (المينوتور).. لأنه...

- لا أصدق أن وحشًا كهذا يمكن أن

يموت..

- وكذلك نحن..

كان (ستافروس) جالسًا يعبث في حقيبته،

ويتأمل الجدران.. ثم قال لي بطريقة

الودیعة:

- هلا ناولتني الثقاب يا بروفيسور؟  
- هل ستدخن أول لفافة تبغ في حياتك؟  
- بل سأنظف أذني!  
ناولته الثقاب.. وتركته يتأمل، وعدت  
أقول لـ (ياني):  
- أراهن على أن مصرع (باسيلوس) كان  
رد اعتبار لك..  
قال وهو يمسح عينيه في تعب:  
- حقًا.. لكني - صدقني - لم أحب ما  
رأيت.. لقد استحق الفتى أن يموت على كل  
حال.. ولا أخال هناك من ندم على فقد..  
لقد قتل الوحش من تسبب في موت ابنتي..  
وقتل (ستافروس) قاتل ابنتي نفسه.. أرى  
في هذا عدلاً صارماً مجيداً..  
- إنني أرى...

في اللحظة التالية وثب (المينوتور) علينا  
من ركن النفق..!

كان يخور كبركان.. وقد فرد ذراعيه إلى  
جانبيه.. والزبد يسيل أنهارًا من شذقيه..  
وقد احترق أكثر جسده وتشوه.. وفاحت  
رائحة اللحم المحترق منه...

وهنا صرخ (ستافروس) وهو يلقي شيئًا  
ما جوار الوحش:

- بروفسور.. (يائي)..... ابتعدا...

- ولكن...

- بحق السماء أسرع!

وعندئذ رأيت ما رماه جواز قدمي  
المينوتور.. كان هذا إصبعًا من الديناميت  
المشتعل..



لقد كان هذا هو ما يبحث عنه في  
حقيقته.. ولأجله طلب الثقاب!

لقد كان يسمع خطى الوحش طيلة الوقت  
لكنه لم يخبرنا..

وهو ذا يثب فوق ظهر الوحش متشبثًا  
بخصره..

متشبثًا بخصر هذا البركان الثائر، محاولًا  
أن يرغمه على البقاء جوار الإصبع  
المشتعل..

وجرينا أنا و(يائي).. فلم يعد بوسعنا عمل  
شيء..

جرينا كما لم نجر في حياتنا..  
ودوى صوت الانفجار..

واهتز التيه مرارًا.. لكنه لم ينهر كما  
توقعت..

الدخان يفعم المكان..  
ونحن نلهث طلبًا للهواء.. لكننا نجونا..



وقال (ياني) وهو يثبت الودد الأول في  
الجدار:

- لقد كان بطلاً حقًا.. للمرة الألف أتعلم أن  
الرجال ليسوا بمظهرهم.. لقد كان - رحمه  
الله - أقرب إلى فتاة مترهلة..

مسحت دمعة سالت على خدي..  
وهمست:

- كان بطلاً إغريقيًا.. سار في تصميم إلى  
مصيره المحتوم.. ولو كان لدينا  
(هوميروس) آخر لخلده في قصيدة أبدية..

إن (ستافروس) هو قاتل (المينوتور)  
الحقيقي وليس (ثيذوس)...



و حين خرجنا من فتحة التيه..  
كان الفجر يتمطى في كسل بعد ليلة  
طويلة.. طويلة..  
ولم يكن أحد هناك..

بإخلاص / د. كوبرانوس



## خاتمة

انتهى خطاب بروفيسور (كوبرانوس)..  
وانتهى (المينوتور)..

للأسف لم يحفظ لنا الانفجار عظامه. وأنا  
لا ألوم (ستافروس) كثيرًا. لكنني كنت  
أفضل لو اختار طريقة أقل جذرية  
للخلاص من هذا الكابوس الإغريقي..  
لكنها ملحمة حقيقية..

وإنني لأجد الكثير من ملامح أبطال  
(الإلياذة) في هذين الشابين (باسيلوس)  
و(ستافروس)..

واضح أن الأول كان يشعر بندم، وأنه  
أراد الموت.. لكنّ كبرياءه السقيم منعه من

الاعتراف بذلك..  
على كل حال.. مازال التيه هناك..  
ينتظر.. ويمكنك أن تزوره لو خطفت  
رجلك ل ترى (كريت)..



أشعر بمتعة حقيقة حين أقرأ هذه  
الخطابات آمناً في فراشي.. غير مضطر  
إلى مصارعة وحش إغريقي في قبو  
مظلم..

وبالطبع لن اكون مضطراً إلى مواجهة  
رعب المستنقعات...

إن الخطاب التالي يتحدث عن مستنقعات  
تتصاعد منها غازات (الميثان). وترفرف

الوطاويط الرقيقة فوق مياهها..  
ومن يعبر مستنقعا يكون عليه أن يدفع  
ضريبة المرور بالدم..  
ولكن.. لماذا أفسد قصتي؟  
إن هذه لقصة أخرى.

د. رفعت إسماعيل  
القاهرة

[تمت بحمد الله]

---

رقم  
الإيداع:  
١٦.٦

---

المطبعة  
العربية  
الحديثة

٨ و ١٠ شارع ٤٧  
المنطقة الصناعية

بالعباسية

القاهرة ت:

- ٢٨٢٣٧٩٢

٢٨٣٥٥٥٤





# الفهرس

## مقدمة

١ - الأسطورة..

٢ - ما كان.. وما سيكون..

٣ - عودة إلى اليونان...

٤ - التيه..

٥ - اشياء غير مألوفة..

٦ - ومزيد من الأشياء..

٧ - أسطورة المينوتور..

٨ - الوحش بيننا..

٩ - يجب أن ننزل التيه..

١٠ - مواجهة في (اللابيرنث)...

١١ - انتيكليماكس..

## خاتمة



## روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة  
روايات تحبس الأنفاس  
من فرط الغموض والرعب والإثارة

### أسطورة المينوتور

إنه هو...!.. لا بد أنه هو ..  
عندما تسمعون هذا الخوار ،  
تشعرون أنه هو .. عندما تسمعون  
هذه الخطوات ؛ تفكرون أنه هو ..  
عندما ترون هذه العظام المبعثرة ،  
تدركون أنه هو ... إنه في مكان ما  
ينتظرنا .. يشم رائحتنا ..  
وحينما نجدنا .. سنوقن  
جميعاً أنه هو ....!



د. أحمد خالد توفيق

العدد القادم : أسطورة رعب المستنقعات

المؤسسة العربية الحديثة

للطبع والنشر والتوزيع

ت: ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٢٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧

فاكس: ٢٨٢٧٠١٢

الضمن في مصر  
وما يعادله بالدولار الأمريكي  
في سائر الدول العربية والعالم

# Notes

[←1]

العظايا معناه الزواحف..

[←2]

المواجهة الشهيرة بين (أوديب) والوحش المصري  
الذي له رأس امرأة وجسد أسد.. لقد وجه الوحش  
سؤالاً عسيراً لـ (أوديب). لكنّ هذا أجاب عنه.. من ثم  
تحول الوحش إلى تمثال عملاق..!

[←3]

أغنية من خيال المؤلف.. فلا توجد أغنية يونانية بهذا السخف!.

[←4]

هذا هو أصل كلمة (نرجسية) أي العاشق لذاته..